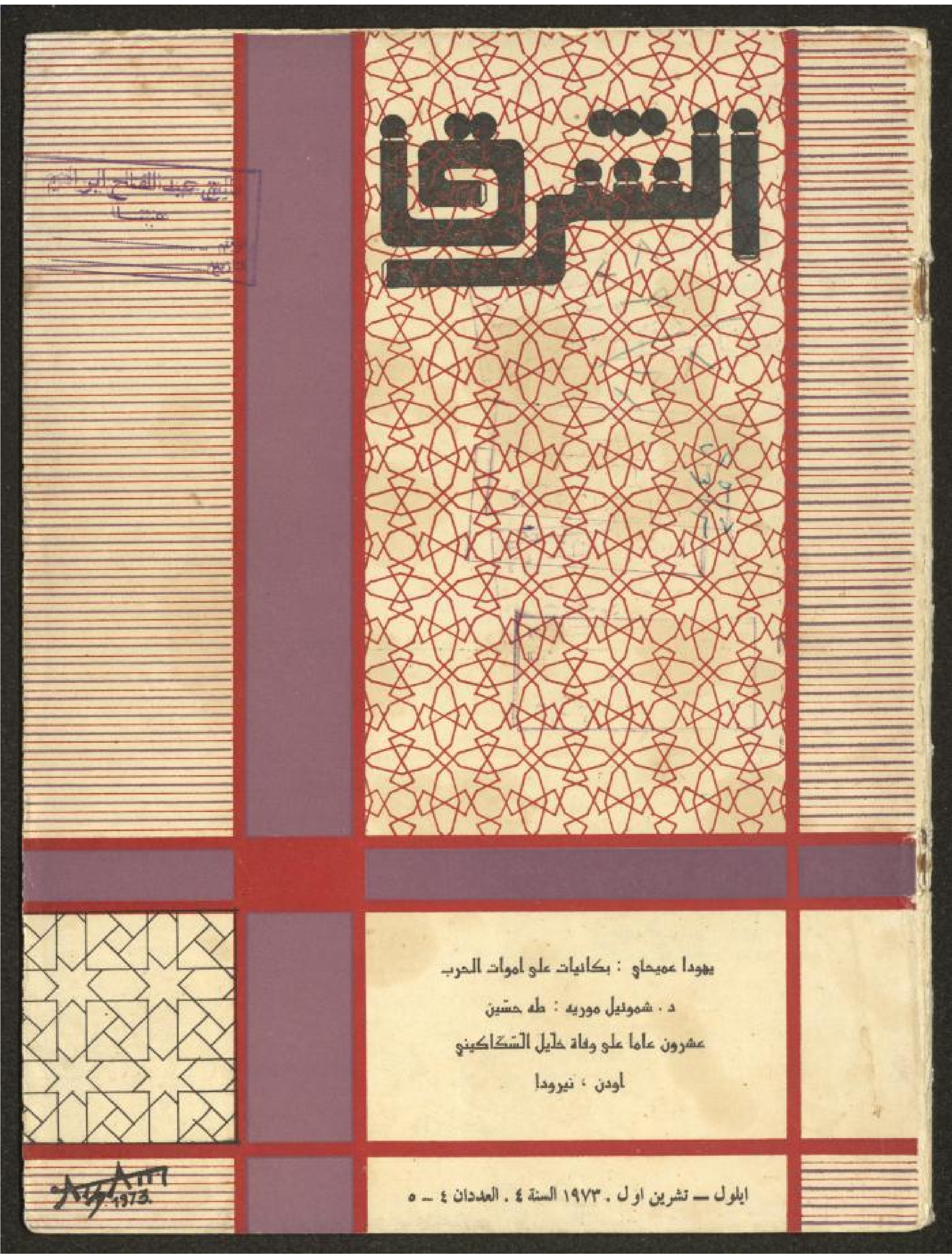

الشرق
يهودا عميحاي : بكائيات على اموات الحرب
د . شموئيل موريه : طه حسين
عشرون عاما على وفاة خليل السكاكيني
اودن ، نيرودا
ايلول ــ تشرين اول . ١٩٧٣ السنة ٤ . العددان ٤ ــ ٥

الشرق

ايلول ـ تشرين الاول ، ١٩٧٣
السنة الرابعة ، العددان ٤ ـ ٥

مجلة شهرية تعنى بشؤون الادب والفكر والفن
تصدر عن صحيفة «الانباء»

مدير التحرير والادارة : **محمود عباسي**
رئيس التحرير : **زكي درويش**
سكرتير التحرير : **انطون شماس**

الادارة : القدس ، شارع هاركما رقم ٧ (ت ٥٢٧٢٣٣)
للمراسلات : ص.ب ـ ٤٢٨ ، القدس .
الاشتراك السنوي : ١٠ ل.١٠٠ ـ لنصف سنة : ٦ ل.١٠٠
الثمن : ليرتان
مطبعة «دوكمة» م.ض ، القدس ، ت ٥٣١٩٢٩

"A-SHARQ"
THE EAST
A Monthly Magazine for Literature & Art
published by "AL ANBA"
P.O.B. 428 Jerusalem Tel 527233

„א-שרק״
המזרח
ירחון לעניני ספרות, הגות ואמנות
יוצא לאור ע״י עתון „אל־אנבא״
ת.ד. 428 — ירושלים טל. 527233



طه حسين

قصائد

مقالات

قصص

*

الغلاف من تصميم عزام جملة

طه حسين : موت حزين

في ذاكرة الكثيرين ، طه حسين لا يتعدى كونــه « عميد الادب العربي » ، وهو في احسن الاحوال ـ صاحب « الايام » . نحن مولعون باطلاق الالقاب . يقلقنا ان يظل احدهم مهرولا في ازقة الادب العـربي دون ان نجد له لقبا نحبسه في قمقمه ، لنستطيـع الاحاطة بكل شاردة وواردة من شخصية الرجل وذلك من غير ان نكتنه مضمونها . واذا اراد احدهم ان يهدم ويبني في معزل عن الضجة ، سارعنا في وضع حاجز بيننا وبينه ، ليتسنى لنا تاليهه ، وبالتالي القضاء عليه رويدا رويدا . و « عميد الادب العربي » هـو المثال الكلاسيكي لذلك .

ثم هناك خشيتنا الفطرية من الابحاث العلميــة الرصينة . فنحن ننظر الى طه حسين كالى روائي محترف يهوى كتابة الابحاث بين الحين والاخر ، ولو تركنــا الرجل في معزل عن هذا الرأى (الذى اقتنع به هـو ايضا) لكان ثمة طه حسين آخر تماما .

الشاب المتمرد الذى عاد الى مصر يحمل الدكتوراه من السوربون سنة ١٩١٩ وهو في الثلاثين ، نشر في اواسط العشرينات كتابه الذى اثار ضجة ولا يزال ـ في الادب الجاهلي ، ثم اتبعه بعد ثلاث سنوات بالسيرة الذاتية الايام . ولعلنا لا زلنا نحتاج الى بعد زمنـي معين عن اعمال طه حسين ليتسنى لنا اثبات فرضيـة انه لم يجتز في البحث ما وصل اليه في كتابه الاول ، وان رواياته بعد الايام كانــت تنويعات على نفس الاسلوب .

ان الملاحقة التي تعرض لها طه حسين في مطلـع حياته الادبية (الى جانب عاهة البصر) اورثت لنــا شعورا دائما بالذنب نحو الرجل ، فكنا نغمــره بالتقدير والاعجاب بمناسبة وبغير مناسبة ، وكان قمة ذلك اقتراح ترشيحه لنيل جائزة نوبل للآداب (القاب .. القاب .. القاب ..) ـ معتقدين ان ذلك يحررنا من هذا الشعور اولا ، وثانيا ـ يطمس في ذاكرتنــا شخصية المثقف الثائر المتمرد التي حاول طه حسـين ـ جاهدا في مطلع ايامه وواهنا في اواخرها ـ ان يكونها .

موت طه حسين هو موت حزين . ليس لانه غادرنا، فتاثيره على المحافل المختلفة توقف قبل عقد ونيف من السنوات ، يوم حنطناه في مجمع اللغة العربية فــي القاهرة ، موت حزين ـ لانه يجب ان يذكرنا باعادة النظر في موقفنا من الادب والادباء .

ونشير هنا الى ان مجـلة «الشرق» سوف تخصص احد اعدادها في المستقبل لطه حسين ، علنا نوفيـه بذلك حقه .

(ا. ش.)

يهودا عميحاي

بكائيات على أموات الحرب

(١)

السيد برينغر ، الذى استشهد
ابنه على القناة التي حفرها
الاجانب من اجل السفن ، لتمر في الصحراء ،
يمر في باب الخليل بقربي :

يبدو نحيلا جدا : فقد
وزن ابنــه ٠
لذلك فهو طاف في الازقة خفيفا
يتشبث بقلبي كالاغصان الدقيقة
المجروفـــة ٠

(٢)

يوم كان طفلا معس البطاطا لنفسه
هريســا ذهبيــا ٠
بعد ذلك يموتون ٠

الطفل الحي يجب ان
ينظف حين يعود من اللعب ٠
اما للشخص الميت
فالتراب والرمال هي مياه نقية
بها الى الابد يغتسل جسده ويتطهر ٠

(٣)

نصب الجندي المجهول
الذى في الناحية المقابلة ، في جانب العدو ٠
هدف ممتاز لمدفعيي
المســتقبل ٠

او نصب الحرب في لندن
في زاوية هايد بارك ، مزين ككعكة
جليلة باذخة : جندى آخر يرفع راسا
وبندقية ، مدفع آخر ، ملاك
حجـري آخر ٠
وكريم علم رخامي كبير
اسيل من فـــوق
بيــد فنـــان ٠

(٤)

عثرت على كتاب قديم عن الحيوانات ،
بريهام ، الجزء الثاني ، العصافير :
بلغة حلوة ، وصف لحياة الزرازير ،
والسمان ، والسنونو ٠ اخطاء على الاغلب بخط غوطي
قديم ، ولكن محبة كبيرة ، « أصدقاؤنا
المجنحون » ، « ستهاجر من عندنا الى البلاد الدافئة » ،
عش ، بيضة مرقطة ، زغب ناعم ، العندليب ،
اللقلق ، « المبشرون بالربيع » ،
ابو الحناء ذو الصدر الاحمر ٠

سنة الصدور ، ١٩١٣ ، المانيا ،
عشية الحرب التي كانت عشية حروبي :
صديقي الحميم الذي مات بين يدي وبين دمائه
في رمال اشدود ــ ١٩٤٨ ، في حزيران ٠

آه يــا صديقي
أبــا الحنــاء ٠

(٥)

« ديكي » اصيــب
كبرج المياه في ياد مردخاي ٠
اصيب ٠ ثقب في بطنه ٠ كل شيء
سال من جوفــه ٠

ولكنه بقي منتصبا هكذا
في مناظر ذاكرتي ،
كبرج المياه في ياد مردخاي •

غير بعيد من هناك ، استشهد
قليلا نحو الشمال ، قرب الحليقات •

(٦)

أكل ذلك حزن ؟ لست ادرى •
وقفت في المقبرة مرتديا
ثياب تمويه شخص حي ، بنطلونا
بنيا وقميصا اصفر كالشمس •

المقابر زهيدة الثمن وترضى بالقليل •
حتى سلال النفايات اصغر من ان تتسع
لورق ناعم لفت به الزهور من الدكان •
المقابر هي شيء مؤدب ومطيع •
« لن انساك الى الابد » ، هكذا
على بلاطة رخامية صغيرة بالفرنسية •
لست ادرى من هو هذا الذى لن ينسى
وهو مجهول اكثر من الميت •

أكل ذلك حزن ؟ اني افكر
هكذا : « عزاؤكم في تعمير الارض » • كم
من الزمن يمكن ان يستغرق تعمير الارض
حتى الفوز في المباراة الفظيعة
الثلاثية بين العزاء والتعمير والموت !
اجل ، كل ذلك حزن • ولكن
يجب ترك قليل من المحبة مشتعلا دائما ،
كما في غرفة طفل نائم ، فانوسا صغيرا ،
دون ان يعرف ما هو النور
ومن اين ياتي ، ولكن ذلك يمنحه
امنا قليلا ومحبة هادئة •

(٧)

يوم ذكرى شهداء الحرب : فلتضع ايضا
الحداد على كل فقداك على الحداد على فقدهم ،
حتى على حبيبة هجرت : فلتخلط
حزنا بحزن ، مثل التاريخ الشديد التوفير
الذى يحمل العيد والشهيد والالم على
يوم واحد ، موسما وتذكارا سهلا •

آه ، ايها العالم الحلو المنقوع كالخبز
في الحليب الحلو ، من اجل الاله المخيف
الذى بلا اسنان ، « وراء كل ذلك
تستتر سعادة غامرة » • ماذا ينفعك
ان تبكي في الداخل وتصرخ في الخارج •
وراء كل ذلك ربما تستتر سعادة غامرة •

يوم ذكرى • ملح مر بثياب
طفلة صغيرة تحمل الزهور •
حبال منصوبة على طول الطريق
لمسيرة جماعية ، الاحياء والاموات •
اولاد بخطى حداد غريب كأنهم يمشون بين شظايا الزجاج •
فم العازفة بالناي سيبقى هكذا لايام كثيرة •
جندي ميت يسبح بين رؤوس صغيرة
بحركات سباحة اموات ، بالخطا
القديم الذي للاموات
على مكان وجود المياه الحية •

راية تفقد الصلة بالواقع وتطير •
واجهة حانوت مزينة بفساتين نسائية
جميلة باللونين السماوي والابيض • وكل ذلك
بثلاث لغات : العبرية والعربية والموت •

حيوان كبير وملوكي ينازع طوال الليل
تحت الياسمينة ، شاخصا باستمرار نحو العالم •
شخص يسير في الشارع ، ابنه مات في الحرب
كامراة تحمل ميتا في رحمها •
« وراء كل ذلك تستتر سعادة غامرة » •

ترجمة : انطون شماس

و · هـ · أودن

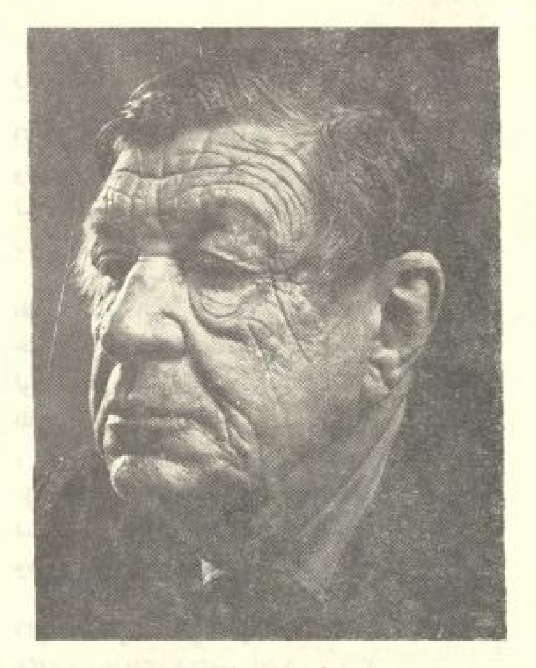
الهبوط على سطح القمر

ترجمة : انطون شماس

في اوائل تشرين الاول الماضي ، في فينا ، توفي الشاعر الانجليزي و· هـ· اودن ، وهو في السادسة والستين · وبذلك يكون صوت آخر من شعراء الثلاثينات قد دخل الصمت · وقد ولد اودن في يورك ، انجلترا ، وتلقى ثقافته الجامعية في اوكسفورد ، حيث كان الروح الحية وسط جماعة من الشعراء استطاعت ان تعطي النغمة المميزة للثلاثينات : تمرد على الروح الانجليزية ومشايعة علنية لليسار · شارك في الحرب الاسبانية ، شأن الكثير من الشعراء في تلك الفترة ، ثم هاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٩٣٩ ، واصبح امريكيا (ردا على اليوت ؟) · في سنة ١٩٥٦ عـين ، لخمس سنوات ، بروفسورا للشعر في اوكسفورد ، حيث قضى الاعوام الاخيرة من حياتــه ·

يجمع النقاد على تأثر اودن باليوت ، وقلائل هــم الذين لا يجعلونه مناوحا له · اشهر دواوينه هــو « عصر القلق » (١٩٤٨) الذي منح هــذا العصر اسمه·ومن دواوينه الاخرى : «مجن الخيلس» (١٩٥٦)، «القصائد الاطول» (١٩٦٨) ، وآخر دواوينه «مدينة بلا جدران» (١٩٧٠) · والى جانب اعماله الشعرية له عدة مسرحيات ، اشـترك في كتابتها معد كريستوفر ايشروود ، وظهرت في اواخر الثلاثينات ، وكذلــك مقالات نقدية عديدة · قصائده تبرز فيها النغمة التهكمية الهازلة ، وهي مكتوبة بلغة الكلام العادية ، وبهـا الكثير من الافكار الاصيلة واللمسات الشخصية الفذة ·

قد نخطىء للحقيقة اذا قلنا بشعبية اودن ، فأسلوبه الفذ ، والشخصي ، في التعبير ، يجعل شعره محــددا لاقلية من متذوقي الشعر · ولعل موته يفسح الطريق لجيل الشباب في الشعر الانجليزى امثال فيليب لاركين ، بيتر بورتر ، جورج ماكبث ، وتد يوز ، الذى شبه اودن يوم بلغ الستين بأنه كالحوت الذى ابتلع يونس : فهو قد ابتلع كل الاقمار والنجوم الشعرية ·



و· هـ· اودن (١٩٠٧ - ١٩٧٣)

قصيدته « الهبوط على ســـطح القمر » ظهرت في كانون الثاني سنة ١٩٧٠ ، في المجلة الادبية « لنـدن ماغازين » ·

قال اودن مرة يصف وجهه : « كعكة زفاف انتسيت تحت المطر » · وهو الوجه الذى تراه في الصورة التي التقطها له في اوكسفورد ، في العام الفائت ، ش·اورنت، الذى اهداها لنـــا ·

شيء طبيعي ان يفرفش الابضايات
لانتصار فالي عظيم كهذا ، مغامرة
ما كان ليخطر في بال النساء
انها جديرة بالاهتمام ، وقد امكن تحقيقها

فقط لاننا نحب التجمع بشكل عصابات ونعرف
الوقت بالتدقيق : اجل ، فبامكان جنسنا ، شرقيا ،
ان يهلل للعمل ، رغم ان الدوافع
التي ادت الى البدء به كانت دون الانساني بقليل ٠

تعبير فخم ٠ ولكن اي شيء يتارخ ؟
وما الذي يهيكله عظميا ؟ نحن دائما اكثر عبقرية
بالنسبة للاشياء منا بالنسبة للحياة ، واكثر تلبية
للشجاعة منا للطف : لحظة

تطاير الشرر من الحجر الاول اصبح هذا الهبوط مجرد
مسألة وقت ٠ لكن نفوسنا ، كنفس آدم ،
ما زالت غير ملائمة لنا تماما ، وهي عصرية –
في افتقارنا الى اللياقة فقط ٠

لم يكن ابطال هوميروس ، اكيدا ، اشجع
من هذا الثلاثي ، لكنهم كانوا محظوظين اكثر : فقد
اعفي هكتور من اهانة
تغطية التلفزيون لبطولته ٠

ايستحق ذلك الذهاب لمشاهدته ؟ اني اعتقد ٠
ايستحق المشاهدة ؟ هههه ! سقت مرة في الصحراء
ولم تسحرني : اعطني حديقة
مروية نضرة ، بعيدا عن المثرثرين

بشان كل جديد ، الفون براونس واشباهها ، حيث
استطيع في اصباح آب ان اعد روائح
الصباح ، حيث الموت له معنى ،
وليس ثمة محرك يغير من موقعي على خلفيتي ٠

غير ملوثة ، والحمد لله ، لا زالت سيدة قمري ملكة السماء ،
بين المحاق والتمام ، طلعة للتمتع بمنظرها ٠
ختيارها ، المصنوع من العزم لا النشاء ،
لا زال يأتي لزيارة نمساوياتي من الاشياء مرارا

بانعزاليته القديمة ، ولا زالت للانذارات القديمة
علي دالة تثير مخافتي : هبريس يؤدي به الامر
الى نهاية مشؤومة ، اللاحترام
هو خبل اعظم من المعتقدات الخرافية ٠

رجالنا الالاتيون سوف يواصلون صنع
الفوضى المعهودة من القاذورات والتي تدعى التاريخ :
كل ما نستطيع ان نصلي من اجله هو ان يستمر ظهور
الفنانـــين
والروائع والقديسين لسربلتها بالبهجة والدهشة ٠

اودن عن اودن

(من مقابلة اجرتها معه صحيفة « انترناشنال هيرالدتريبيون » ، تشرين الاول – ١٩٧١) ٠

* انني انتمي الى حضارة السجائر والكحول ٠٠ لعلي « مخلل » بالكحول اكثر مما ينبغي ٠
* كل هذه الثرثرات عن الهوة بين الاجيال هـي اشياء لا اؤمن بها ، جميعنا ابناء عهد واحد ، هنالك فقط فرق في كميـــة الذكريات ، ليس الا ٠
* ان العلاقة بين الفن والحيـــاة اما ان تكون بسيطة بحيث ان التحدث عنها عديم الفائدة ، او معقدة بحيث انـه من المستحيل التحدث عنهـا ٠
* ما الفائدة من كل ذلك ؟ القصائد لم تخلص يهوديا واحدا من اوشفيتس ، ولم تغـير شيئا من مسالة الحرب ٠
* انني ارتاب في كل كتابة ملتزمة ٠

بابلو نيرودا
ارثيـــا
ترجمة : هنري فريد صعب

« شاعر فذ ، سيء » ـ هكذا قال الشاعر الاسباني خوان رمون خمنز عن بابلو نيرودا ٠ ومع وفاة نيرودا في ايلول الفائت غاب عن الاقليم الشعري في امـيركا اللاتينية الصوت الذي كان طوال نصف قرن المغني المتفرد للقارة الجنوبية ٠ واذا كـــان اوكتافيو باس المكسيكي ، ونيكولاس غيلن الكوباني ، يبرزان عـلى هذه الخلفية الى جانب نيرودا ، فان الاخير كان كمـا وصف غير مرة « ظاهرة طبيعية » ، تضع الاصـــوات الاخرى في الظل ٠

وقد ظهر ديوان نيرودا الاول وهي في التاســعة عشرة سنة ١٩٢٣ ٠ وبعد ذلك بعام اصدر ديوانه الذي ظل في اعتقاد الكثيرين افضل شعره واكثره رواجا ـ « **عشرون قصيدة حب ، واغنية يائسة** » ٠

الشيء الذي يميز اعمال نيرودا الشعرية هو التدفق الكلامي الشلالي الفخم ، والذي يتحدر احيانا الى مجرد سرد قائمة باسماء نيف ومئة قرية في الجنوب (وذلك في احد الفصول من مطولته الشعرية «**النشيد الشامل**») وقد ادت طبيعة تراكيبه اللغوية الفخمة المبالغ فيهـــا احيانا الى اتهامه بالغرافومانيا (مرض التدفق الكلامي) ٠ ولعل ذلك يعود الى طبيعة اللغة الاسبانية ، والتـــي تشابه ، من هذه الناحية ، اللغة العربية الى حد بعيد٠

وقد كنا يوم نال الشاعر جائزة نوبل للاداب عـن سنة ١٩٧١ قد نشرنا ترجمة لقصيدته « رسالة الى ميغل اوتيروسيلفا في كراكاس» (تشرين الاول ، ١٩٧١)، وكذلك تفاصيل وافية عن حياتـــــه (تشرين الثاني ، ١٩٧١) ٠

والقصيدة المنشورة ادناه مأخوذة عن ديوانه «النشيد الشامل» ٠ وهي تتحدث عن الونسو دي ارسيليا (او ارثيا في قراءة اخرى) الجنـــــدي والشاعر الاسباني (١٥٣٣ ـ ١٥٩٤) الذي اتى اميركا الجنوبية ليحارب سكانها الاصليين ، الاراوكونيين ، وليكتب مطولة عن بطولة المحتلين الاسبان ٠ غير ان شجاعة الســـكان الاصليين اثرت به بحيث كتب مطولته في النهايـــة ممجدا بسالتهم ٠

(ا٠ ش٠)

☆ ☆ ☆

حجارة اراوكو والورود النهرية
المثارة ، وممالك الجذور ،
نفرت للقاء الانسان القادم من اسبانيا ٠
بالاشنة المارده ، اغارت على سلاحه ٠
ونكست ظلال الخنشار سيفه ٠
وحط اللبلاب الاصلي ايديه الزرقاء
في الصمت الآتي الجديد من الكواكب ٠

ايها الانسان ، يا ارثيا المرنان ،
ها انا اسمع فيض الماء
في فجرك الاول ، وهوس الطيور ،
والصاعقة بين اوراق الشجر ٠
فاترك ، اترك وطاتك
كنسر احمر ومزق
خدك بالذرة البرية ٠
كل شيء سيكون فريسة في الارض ٠
ايها المرنان ، وحدك لن تشرب كاس
الدم ، ايها المرنان ، وحده البرق
الخاطف ، الذي ولد منك ،
سيبلغ ، دون جدوى ، فم الزمن السري
ليقول لك : دون جدوى
سدى ، دون جدوى
ينزف الدم على اغصان البلور الملطخ ،
ودون جدوى عبر ليالي « البوما »
خطوة الجندي العتية ،
والاوامـــر ،
وخطـــوات
الجريـــح ٠
كل شيء يعود الى الصمت
الذي تكلله الريـاش
حيث يلتهم اللبلاب ملك نازح ٠

خليل السكاكيني

(١٨٧٨/١/١٩ – ١٩٥٣/٨/١٣)

«انسان ان شاء الله»

صفحات مختارة من يومياته : **كذا انا يا دنيا** (القدس ، ١٩٥٥)

بمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته

القدس

الثلاثاء في ١٩١٤/٣/١٠

علمت الخواجا ابري [وهو يهودي] وكان موضوع الحديث بيني وبينه اللغة العربية ·

قلت : «اذا قابلت اللغة العربية بغيرها وجدت لها مزايا عديدة :

(١) **انها لغة فخيمة** فيها من الحروف ما لا تقابل به لغة اخرى ، وكل حروفها واصواتها واضحة صريحة فلا تسمع كلمة منها الا سمعت كل حروفها وتبينت كل اصواتها ، على حين تجد ان كثيرا من الحروف في اللغات الاوروبية صامتة او خفية والحركات عديدة منها خالصة ومنها بين بين · ثم تجد في اللغة العربية حروفا حلقية لا تجدها في غيرها من اللغات ، فما السر في ذلك ؟ ·· السر انه لما كانت الامة العربية عريقة في البداوة تعيش في الهواء الطلق كانت حلوقها قوية تقدر على اخراج تلك الاصوات ، بل ان الاصوات التي تخرج من اعماق الحلق تدل على ان الامة التي تنطق بها شديدة التأثر حادة الطبع لا تطيق الهمس والفمفمة بل تميل الى الصراحة والوضوح ولا تتكلم الا عن تأثر وانها تعني ما تقول · وقد كان في بعض اللغات مثل هذه الاصوات ولكنها لم تلبث ان ماتت فيها ، وربما ماتت بعض الحروف الاخرى بحيث لا يتكلم الناس بها الا همسا · بل ان العرب انفسهم في دور انحطاطهم هذا لينوا القاف فجعلوها همزة وحذفوا العين بعد كلماتهم ، مثل «اسا» – هذه الساعة ، و «لسا» – لهذه الساعة ، لان حلوقهم بسبب تحضرهم قد ضعفت فصارت تستثقل هذه الاصوات · بل استبدلوا بالحركات القصيرة في بعض الكلمات حركات طويلة الارتخاء في نفوسهم ، فقم يلفظونها «أوم» وقل «أول» الخ ·

(٢) **انها لغة ايجاز** ، وذلك اولا لانها لغة اعرابية ، فتغيير حركة اخر الكلمة يغني عن تغيير ترتيب الجملة او زيادة بعض حروف او كلمات ويؤدي المعنى المراد على اوضح صورة ، الخ ، وثانيا لانها لغة اشتقاقية ، بل هي ارقى اللغات في الاشتقاق ، فنقل الكلمة من وزن الى وزن اخر يفيد معنى جديدا قد لا يؤدى في لغة اخرى الا بعدة كلمات الخ · ثالثا لانها غنية في افعالها «فلكل معنى لفظ خاص حتى اشباه المعاني او فروعها وجزئياتها» كما قال زيدان في كتابه «تاريخ اداب اللغة العربية» · على حين ترى اللغات الاخرى قليلة الافعال فبدلا من ان تؤدي المعنى بلفظ واحد خاص به تؤديه بلفظين او اكثر ، ولا سيما اللغة الانكليزية فهي تلجأ في كثير من المعاني الى استعمال الصفة مع فعل «صار» او «حصل» أو «أحس» · ثم لما كان لكل شخص علامة خصوصية تدخل على الفعل او تلحق به مثل التاء في «ضربت» والهمزة في «أضرب» فكيفما استعملت الفعل فلا يقع التباس ، على حين ترى اللغات الاوروبية لدفع هذا الالتباس تضطر الى تغيير التركيب واستعمال كلمات اخرى مما لا يتسع المجال هنا لبيانه · ورابعا لانها غنية في حروفها ، ففيها من حروف الجر والنفي والنداء والاستفهام على كثرة ما تتضمنه من المعاني والاعتبارات ما لا تضاهيها فيه لغة اخرى · خامسا لانها تحتمل الاضمار والتقدير والتقديم والتاخير والحذف اكثر من غيرها ·

لهذه الاسباب وغيرها امتازت اللغة العربية بايجازها حتى كأنه فطرة فيها بحيث لا يظهر فقط في الفاظها وتراكيبها بل في قراءتها اذ تتصل الكلمات ويأخذ بعضها برقاب بعض ، بل في خطها وكتابتها ، وذلك اولا لان الحروف الابتدائية والوسطى صغيرة الحجم دقيقة الشكل ، وثانيا لان العرب يلغون الحركات القصيرة لانها في اعتبارهم مفهومة لا حاجة الى كتابتها ، بل يظهر الايجاز في امثالها واشعارها وخطبها وسائر فروع ادبياتها فهم يكرهون التطويل الممل ·

(٣) **انها لغة شعرية** ، اولا لكثرة استعمال المجاز والكناية والاستعارات والاشارات والتشبيه ، وهذا

مالوف فيها حتى في اللغة العامية مثل قولهم فـــلان «مبسوط اليد» اي كريم ، و «مقبوض اليد» اي بخيل ، و «كثير الرماد» اي مضياف ، الخ • ثانيا لانها كثيرة المترادفات فلا يضيق الشاعر بها ذرعا • ثالثا لانها كثيرة التراكيب الاعرابية ، فاذا تعذر الاتيان بهـذا التركيب جيء بغيره ، فموقع الكلمات في الجملة يظهر اما بعلمات الاعراب او الترتيب او القرينة على خلاف اللغات الاخرى اذ تعتمد على بيان موقع الكلمة في الجملة على الترتيب فقط • رابعا لان الفاظها تختلف بين الفخامة والرقة بحيث يستطيع العربي ان يختار لكل مقام من الالفاظ ما يناسبه ، الخ • خامسا لو قابلت كثيرا من مفرداتها بمثلها في لغات اخرى لظهر لك انها انســب للمعنى وابين للفكر واطوع لاظهار اعمق التاثــرات • فلفظة «لا» النافية انسب من كل ادوات النفي في اي لغة كانت اذ يسهل معها مد الصوت ، والصفات فيها التي تجيء على وزن فاعل مثل واسع وغافر وطاهر وكامل ، او على وزن فعيل مثل كبير عظيم عليم سميع او صبور غفور شكور ، اطوع للتعبير عن اعمق التأثرات لما فيها من الحركات الطويلة ، الخ • وكلمة «حق» بحائها وقافها المشددة العميقة لا تعادلها كلمة اخرى من اي لغة في الدلالة على معناها ، ولا بد ان الناطق بهذه اللفظة يشعر بالحق اكثر من غيره ، وليس ذلك فقط بل لها تأثير في السامع بحيث تصل الى اعماق قلبه وتحدث في نفسه هزة • وكلمة «حب» لا تعادلها كلمة اخرى فـي جمالها وقوتها ، بل هذه اللفظة تكاد تشم منها رائحة الحب لانها تخرج من اعماق القلب مصحوبة بنـفس الحب ، وحق العرب ان يفاخروا بهذه الكلمة لانهـا تدل على أن الحب عندهم من القلب وليس من الشفاه • وليس اجمل من ضم هذه الحاء واطباق الشفتين عـلى بائها المشددة مما يستشف منه الحزم والثبات • وكلمة «مرحبا» هذه اللفظة بميمها ورائها وحائها وبائهـا وتنوينها وحركات الفتح فيها كانها قطعة موسيقيـة يتبادلها الناس • سادسا اذا نظرنا في اللغة العربية من جهة الحركات لرأينا لها مزية على غيرها • حركاتهـا ثلاث : الضم والفتح والخفض ، ومعلوم ان الضم افخم الحركات والفتح اخفها والخفض اثقلها ، فاللغة التـي يكثر فيها صوت الكسر ثقيلة مستكرهه ، واذا استقريت الفاظ اللغة العربية ومواطن الضم والفتح والخفـض الاعرابية فيها لرايت الخفض اقلها والفتح اكثرها وهذا مما يكسبها جمالا ورشاقة ويصدق معه القول انها لغة شعرية »

هذا خلاصة ما ذكرته من مزايا هذه اللغة العربية وكلها ابحاث لم يسبقني اليها احد على ما اذكر وتحتمل زيادة في الكلام لا يتسع لها المجال •

الاثنين في ١٦/١١/ ١٩١٤

لا انظر في الحياة في هذه الايام الا تكشفت لي عن طفائف فارغة :



صورة للفنان في شبابه : خليل السكاكيني سنة ١٩١٤

(١) انها قصيرة جدا • كنت اذا التفت ورائي قبل اليوم احسب ان المسافة التي قطعتها من الحياة طويلة جدا وان الادوار التي جزتها ـ الطفولة والصبــوة والشبيبة ـ كل دور منها استغرق سنين طوالا • ولكن يوم ولد سري رأيت الحياة قصيرة • خرج الى العالم كتلة لحم ولم يمر عليه الاسبوع الاول حتى اخذ يظهر شكله ولونه وتبدو ملامحه ، ثم اخذ ينمو وتتنبهت قواه العقلية فصار يزقزق ويتحرك ويتعرف ما حوله ، ثم برزت اسنانه وصار ياكل ، ثم غدا يصير صبيا يتكلم ويلعب ويرضى ويغضب وياكل ويشرب ، ثم يذهب الى المدرسة فيتعلم ، ثم لا يلبث ان نراه شابا ، ثم ينبت شارباه ولحيته ، ثم يتغضن وجهه ويبيض شعره او يسقط فيصلع ، ثم يضعف جسده وترتخي اعصابه ، ثم يشيخ ، ثم يموت •• على انه كيفما كانت الحياة قصيرة او طويلة فانها تنتهي بالموت ، وكل شيء بلـغ الحد انتهى ، ولذلك فهي لا تستحق ان يشتاق اليها او يؤسف عليها •

(٢) ليست الحياة امرا عظيما ولا سرا مكتوما ولا هبة سماوية او اعجوبة ارضية ، فاذا شاءت أمة كثرة العدد فليتزوج رجالها نساءها وليعددوا الزوجات فلا يمضي زمان طويل عليها حتى يصبح نسلها كرمل البحر او كنجوم السماء ٠ ان هذه الالوف التي تسقط فيساحات القتال او التي تهلكها الامراض او الاوبئة ليس أسهل من تعويضها فان مواليد سنة واحدةتسد هذا النقص ٠ قديخسر الانسانشيئا زهيدافيهذه الحياةفلا يستطيعان ان يعوض عنه ، قد يهدم بيته فلا يستطيع ان يبنيه ، او قد يفقد رأس ماله فلا يستطيع تجديده ، او يخسر مركزه فلا يستطيع استرجاعه ، واما النسل فما أهون الحصول عليه ٠ ان الفقير الذي لا يستطيع ان يجد قوته قد يتزوج فيرزق عدة اولاد ، والرجل الخامل الجاهل الذي لا يستطيع عملا ولا يحسن تدبيرا ولا يملك مـــن العقل ذرة قد يتزوج فيرزق بنات وبنين ، بل الاعمى والاعرج والاخرس والاطرش والمقعد والمفلوج المسهول وغيرهم من اصحاب العاهات والامراض الذين لا يصلحون للحياة قد يتزوجون نساء مثلهم ثم لا يلبثون ان تكتظ بيوتهم بالاولاد ، فهل تعد الحياة بعد ذلك امرا عظيما !؟

(٣) لا غرض لها ٠ نأكل ونشرب لنحيا ــ ولكن نحيا لماذا ؟ الغرض من الحياة كالغرض من كل الموجودات لم يهتد احد الى معرفته فقد قسم العلماء البحث العلمي الى ثلاثة أقسام : البحث عن الماهية ، والبحث عن الكيفية والبحث عن الغاية والى اليوم لم يتجاوزوا البحثـــين الاولين ، اي عرفوا ماهية الموجودات وكيفية وجودها، واما غاية وجودها فلم يهتدوا الى وجهها على الاطلاق ، بل منهم من يحسب ذلك عقيما لا فائدة منه ، والحياة بدون غرض لا معنى لها بل هي عبء ثقيل ٠

(٤) سريعة العطب ٠ مهما كان الانسان قوي الجسم ، صحيح البنية ، نقي الدم ، فانه لا يأمن ضربة الشمس، او هبة هواء ، او عثرة رجل ، او ميكروب مرض من الامراض يدخل جسمه من لسعة برغوث او بعوضة ، او يستنشقه مع الهواء ، او يشربه مع الماء ، او يعلق به من ملامسة مريض ، كما يأمن الموت قتلا او سحقا او غرقا او حرقا او خنقا او تسمما او جوعا او عطشا او هما او تعبا ، بل قد تؤدي به الراحة ، الى غير ذلك من الاسباب والعوارض المعروفة وغير المعروفة مما يجعل الحياة سريعة العطب قريبة الزوال ٠

(٥) كثيرة التعب والالام وافرة الشقاء لا ينعم الانسان فيها يوما الا شقي أياما ، ولكل دور من ادوار الحياة اتعاب والام خصوصية ٠٠

(٦) كل مسراتها واطئة صبيانية لا قيمة لها بحد ذاتها ، ومع ذلك فانها نادرة بعيدة المنال لا ينالها واحد حتى يخسرها الوف ٠٠

ومع ذلك فاني راغب في الحياة مقبل عليها مغتبط بها، ولعل الفضل في ذلك راجع الى ما في من القوى الحيوية في جسدي وعقلي ونفسي ٠ على اني لا اتمثل في هـــذه الحياة الا بقول المتنبي :

لا تلق دهرك الا غـــير مكترث

ما دام يصحب فيـه روحك البدن

دمشق ،

الثلاثاء في ١٩١٧/١٢/١٨

مساء يوم الثلاثاء الواقع في ١٩١٧/١١/٢٧ اويت الى فراشي ٠٠ الوقت ليل ٠ والبرد شديـــد ، ودوي المدافع في جوار القدس كالرعد القاصف ، واذا بالباب يطرق طرقا خفيفا ، ففتحت واذا برجل يهودي اميركي وقف امامي وقفة الخائف المستجير ٠ اعلنت الحكومة ان كل اميركي من السنة السادسة عشرة الى الخمسين يجب ان يسلم نفسه للحكومة في مدة اربع وعشرين ساعة ، ومن لا يسلم نفسه يعتبر جاسوسا ، ومن خبا اميركيا عمدا او بلا عمد يعتبر جاسوسا ايضا ٠ فصاحبنا لـــم يسلم نفسه بل فر من وجه الحكومة ، ولعله طرق ابوابا كثيرة قبل ان يصل الي فلم يقبلوه ، فوقعت بين امرين: بين ان أقبله فاخالف أوامر حكومتي واتعرض لغضبها وانتقامها ولا سيما في ايامها الاخيرة وقد ضاع رشدها وطاش حلمها ، وبين ان اصرفه من حيث جاء فاخالف بذلك ادب لغتي التي اولعت بها منذ الصغر ووقفت نفسي على احيائها وتعزيزها ، ذلك الادب المملوء بالحض على اجارة المستجير واغاثة المستغيث وتأمين الخائـــف واجابة الصارخ ٠ اذا قبلته خنت دولتي واذا صرفته من حيث جاء خنت لغتي ٠ فاي الخيانة ارتكب ؟

مرت بي هذه الخواطر بسرعة البرق فلم اتردد اخيرا في قبوله ٠ معاذ الله ان أقبل جاسوسا ، ولكن الرجل فر لانه لا يهون عليه ان يسلم نفسه للحكومة فيترك اهل بيته تحت رحمة الاقدار ويخرج في تلك الاوقات التي كانت قنابل المهاجمين تمطر الطرق كلها فلا يخلـــو المرور فيها في الليل او النهار من خطر ، ومن تحدثـــه نفسه في حالة صاحبنا أن يفر من وجه الحكومة ويعصى اوامرها الطائشة ؟! فاذا صح ان يكون هناك جرم فهو

جرم القرار لا جرم الجاسوسية ٠ واذا لم يكن هو جاسوسا في اعتباري فهل اكون انا جاسوسا اذا قبلته في بيتي ؟ على أن ذلك لا يدفع الخطر عني اذا علمت الحكومة انه مختبىء عندي ولا تقيم لرأيي هذا وزنا ولا تقبل عذرا ٠ ولكن الرجل التجأ الي فلا يسعني الا ان اقبله ٠ قلت في نفسي انه لم يلتجيء الي بل التجأ الى قومي في شخصي ، التجأ الى أدب لغتي قبل الاسلام وبعده ٠ التجأ الى ذلك البدوي الذي أجار الضبع حين لجأت الى خيمته من وجه مطارديها ، بل الى ذلك البدوي الذي حمى الجراد الزاحف على ارضه ممن كان يتعقبه لدفع غائلته ، التجأ الى عوف بن الشيباني والسموأل حيان ، بل الى ذلك الجم الغفير من رجال التاريخ الذين كانوا يجيرون المستجير ويغيثون المستغيث ولو عرضوا انفسهم للخطر ٠ وهنا لا يسعني الا ان اقول انه خولني شرفا عظيما بالتجائه الي اذ جعلني اهلا لان امثل روح تاريخنا وادبنا في اجارة المستجير ٠ كما ارجو ان يسر قومي ان رجلا غريبا لجا اليهم في شخصي بعد ان انكره قومه واغلقوا دونه ابوابهم فقبلته باسمهم ٠ والخلاصة ان الرجل ليس جاسوسا ولم يلتجيء الى خليل السكاكيني كما يتبادر الى الذهن ولكنه التجأ الى الامة العربية في احد افرادها ، ولست ممن يتخلون عن هذا الموقف الشريف ، كما اجل نفسي ان اكون من العابثين بشرف قوميته المستهين بادبها وان عرضت نفسي بذلك لخطر الاعدام شنقا او رميا بالرصاص ٠ واذا كنت مجنيا علي فليس الذي التجأ الي هو الجاني علي اذا لم يكن اسهل من ارده من حيث جاء كما رده ذووه ، ولكن الذي جنى علي هو ادب لغتي بل شرف امتي ، واذا كانت اجارة المستجير جناية فيجب ان تؤخذ بها الامة باسرها لا احد افرادها ، بل يجب ان تحرق كتبها ويطمس على تاريخها ويمحى ذكر شعرائها وادابائها من اقدم عهد التاريخ الى اليوم ، بل يجب ان نستبدل بلغتنا اخرى ونتخلق بغير اخلاقنا ونتأدب بغير ادابنا ونتغنى بغير فضائلنا ٠٠ تعالينا عن ذلك علوا كبيرا ٠

مر علي بعد اطلاق سراحي اربعة ايام وانا ملازم بيتي لا أخرج منه الا قليلا وانا اعتقد اني نجوت وان الرجل الذي التجأ الي لم يدر به احد ٠٠ ولكن في الساعة الثالثة بعد نصف الليل من مساء يوم الثلاثاء الواقع في ١٩١٧/١٢/٤ بينما كنت نائما مطمئنا طرق الباب الخارجي طرقا شديدا ٠ من الطارق ؟ املتجيء اخر ؟ ليس هذا طرق ملتجيء ٠ اصديق ؟ ليس هذا وقت زيارة ٠ الطرق مستمر ٠ أقوم فافتح ام اتركهم يطرقون الباب حتى يكلوا فينصرفوا ؟ الطرق مستمر ٠ من الطارق ؟ هوذا البعض قد تسور الحائط ٠ حركة اقدام في ساحة الدار ٠ احاطوا بالمنزل قعقعة سلاح ٠ فلم اشك انهم قوة عسكرية عرفت ان الرجل مختبيء عندي فجاءت لتأخذنا ٠ فهببت من فراشي وجئت الى غرفة صاحبنا فطرقت عليه الباب لعلي اتمكن من تهريبه فلم يستيقظ ٠ هوذا الجنود على باب المنزل الداخلي فليس الا التسليم ٠ فجئت الى الباب ففتحت واذا بالباب عارف بك ، احد ضباط البوليس ، ومعه عجوز يهودية جاءت تدلهم على البيت ٠ قال : «اين التر ليفين ؟ » فدللتهم على غرفته فأيقظوه فأخذوه واخذوني معه ٠ ولم اشك اننا هالكون ، فودعت احبائي الوداع الاخير وخرجت مع رجال البوليس والجند ، ولكن لا تسل كيف كان خروجي !

ومن هذه العجوز الدليلة ؟

حين التجأ الي التر ليفين اكد لي انه لا يعرف احد انه جاء الي ٠ دعوناه في اوقات الاكل ليشاركنا في طعامنا فلم يكن ياكل الا قليلا من الخبز مع حبات زيتون وكاس شاي ٠ وبعد ايام بينما نحن لاهون غافلون اطل من النافذة فراى يهوديا فناداه وكلفه ان يرسل اليه تلك العجوز لتحضر له الطعام في حينه ، فكانت تروح وتجيء كل يوم ، فاهتدى اليها البوليس الذي كان يتعقبه فسألها عن ملجاه فانكرت ، فضربها ضربا اليما فاعترفت فجاءت تدلهم عليه ٠ قومه انكروه وقومه دلوا عليه ٠ لماذا لا تأكل من طعامنا ايها الرجل سامحك الله ؟ اذا كان طعامنا نجسا في اعتبارك فنحن نجسون ايضا لاننا نتغذى بالنجاسة ، فكيف التجأت الينا ؟! ايتها الاديان ، بل ايتها العقول السخيفة ، لقد جنيت علينا وكم لك من ضحايا !

اخذونا الى دائرة البوليس في عمارة الدومينيكان فلقيت هناك الاستاذ الشيخ عبدالرحمن سلام استاذ اللغة العربية في الكلية الصلاحية ، وقد اوقفوه ليسوقوه الى دمشق ليلتحق بالكلية الصلاحية فيها اذ نقلت اليها قبل بضعة ايام ، فبادرته بقولي : «ايها الاستاذ ربما كنت اخر من ارى في هذه الحياة فاعلم اني كنت الى الدقيقة الاخيرة من حياتي مخلصا امينا» ، فجعل يشجعني ويطيب خاطري ٠

اقمنا في دائرة البوليس يومين ولم يهتم بنا احد لان رجال الحكومة كانوا في اضطراب عظيم ، ولعل ذلك كان من حسن حظنا ولولاه لتفرغوا لنا فحاكمونا وحكموا علينا ونفذوا الحكم تفشيا وانتقاما منا وارهابا لغيرنا ٠ وغاية ما هناك ان رجال البوليس اخذوا رفيقي فسالوه

بضعة اسئلة ، ثم ادخلوني وسالوني : «اتعرف هـذا الرجل ؟» فقلت : «نعم ·» وجعل مدير البوليس يصوب نظره الشذر في ويصعده وهو يهز رأسه كأنه يعني «ايها الخائن الغادر لقد وقعت في ايدينا» ثم اجتمعوا وكتبوا عني تقريرا طويلا بما كان وبما لم يكن ·

الجمعة في ١٩١٧/١٢/٢١

وصيتي :

١ـ أحب ان يكون سري معلما والا فطبيبا ، وبناء على ما اعهد فيه من الذكاء ارجو ان يكون فخري وفخر امه·

٢ـ احب ان ينشا على المبادىء التي رسمتها له في بعض دفاتري في مكتبتي اذا كانت لا تزال موجودة والا فان امه وعمته ميليا ادرى الناس بمبادئي فهما المكلفتان برعاية ذلك ·

٣ـ اذا لم يمكن ان تهاجر العائلة كلها الى اميركا فعلى الاقل يجب ان يهاجر سري ويعيش هناك تحت كنـف عمه او خاله ·

٤ـ احب ان يولع سري بالالعاب الرياضية على اختلاف ضروبها وان يمشي على الاسلوب الذي اتبعته منـذ نشأتي وكنت ابشر به دائما · الالعاب الرياضيـة ، والاستحمام بالماء البارد ، والطعام المغذي ، والمطالعة ـ هذا هو الاسلوب الذي سيتغلب على العالم كله · ولما كان لا بد للانسان من صبغة فلسفية فاحب ان تكون فلسفة سري فلسفة السرور ، ليأخذها عن امه وعمته او احد اصدقائي الاخصاء ·

٥ـ لا احب ان يتقيد في حياته بقيود سياسـية او دينية بل ان يكون انسانا محضا يعتبر كل انسان اخا ويعتبر نفسه اخا لكل انسان ويتمثل بقول الشاعر :

اذا كان اصلي من تراب فكلهـا

بلادي وكل الناس فيها اقاربي

٦ـ رأس الفضائل عندي العفاف فاحب ان يكـون عفيف النفس طاهر القلب نقي الضمير ، والكلمة التي احب ان يذكرها دائما قول الشاعر الانكليزي : «في قوة عشر رجال لان قلبي طاهر» ·

٧ـ لا احب ان اقيده بقيود كثيرة واحطاه بوصايا عديدة ولكن اكتفي بقولي ان يعيش كما يريد حرا مطلقا بشرط ان لا يتسفل في اهوائه ولا ينحط في مبادئه · ليس اكره عندي من التسفل والدناءة ·

٨ـ لا ارغبه في الزواج ولكن اذا اراد التزوج فليتزوج من ترفعه لا من تضعه · للزواج اغراض عديدة تختلف باختلاف الناس من الترقي والانحطاط ، فليكن غرضه من الزواج شريفا ، وهذا آكله الى مبلغ علمه وبعد نظره وسمو ادابه وشرف اخلاقه وكبر نفسه ·

٩ـ كنت دائما احب ان اوفر لعائلتي اسباب الراحة والسرور ولست اسف على شيء كأسفي على قصوري في ذلك ، فأحب من سري ان يتدارك ما فاتني ، وليس ذلك على عمته بعزيز ·

١٠ ـ كان لي اصدقاء كثيرون لا يتسع المقام لذكر اسمائهم كنت منهم مكان الاخ من اخيه ، فأحب مـن سري ان يتعرف بهم ويقيم على ولائهم ولا يدع فرصة تمر بدون ان يقابل جميلهم مع ابيه بمثله ان شاء الله ·

١١ـ اذا خطر لعائلتي ان بعض الناس اساء الـي فليقابلوه بالعفو والسماح · الحقد لؤم والانتقام دناءة وانحطاط ·

١٢ـ علي ديون كثيرة اجهل الان مقدارها فاوصـي سريا وامه وعمته واخي يوسف ان يتحروا تلك الديون ويفوها عني ولو لزم الامر ان يبيعوا ما فوقهم ومـا تحتهم او ان يقتروا على انفسهم ليخصصوا شيئا لوفاء الدين ·

١٣ـ ارجو ان تكون هذه الحرب اخر عهد البشـر بالحروب ، ولكن اذا لا سمح الله نشبت حرب فـلا يسكن سري بلادا في حالة حربية مع غيرها سواء كان من ابنائها او غريبا عنها ، اولا ـ لاني ارجو ان يكون من انصار السلم كارهي الحرب ، ثانيا ـ لان البلاد التي تكون في حالة حربية تتهيج اعصابها ويطيش حلمها ويستحكم منها سوء الظن فلا يأمن ان يؤخذ من حيث يدري ولا يدري · ما دامت البلاد في سلم فليبشر بكره الحرب ، ولكن اذا دخلت البلاد في حرب بحق او بغير حق فلينفض يديه منها وليرحل عنها · لهم دينهم وله دينه · لا يكن رحيله عن جبن فان الجبن دناءة ، ولكن ليكن رحيله عن مبدأ ·

١٤ـ لا يسكن سري بلادا لان له فيها املاكا وعقارات، او لان فيها قبور ابائه واجداده ، او لان مناظرها جميلة وهواءها طيب وماءها عذب ، او لانها ارقى من غيرها في المدنية ، او لغير ذلك من الاسباب ، بل لا يسكن بلادا الا

لسبب واحد هو ان تكون معهد الحرية ، وكل مكان ينبت العز طيب ·

١٥ـ ان يتأدب باداب المسيح حسب خطبته على الجبل لانها في اعتباري اداب عالية جدا ، وان يكثر من مطالعة تراجم العظماء والمفكرين والاقوياء في عقولهم ونفوسهم واجسامهم ليتشبه بهم فان التشبه بالكرام فلاح ·

١٦ ـ ارجو من سري رجاء خصوصيا ان يكون في حياته ممن يهتم بالمساجين ويعطف عليهم ويقدم لهم مايستطيعه من المساعدة ، وليشتغل باصلاح السجون ، اذا كان في ايامه سجون ، بل ليعمل على ابطالها واعتماد طريق اخر منطبق على العلم الحديث ، وليبشر بانجيل الرحمة والرفق والاخاء · اذا سمع بمصيبة حلت باحد فليبادر الى التعزية · واذا طرق سمعه صوت مستغيث فليبادر الى الاغاثة · ليعز الحزين ويتفقد السجين ويساعد الضعيف وينعش الكريم اذا زلت به قدمه وليكن رسول سلام في هذا العالم · ليفعل ذلك اكراما لابيه الذي عاش مع المساجين وتالم كما يتالمون وتلهف كما يتلهفون ·

هذه وصيتي كتبتها باختصار وربما زدت عليها ما اتفطن له ، ولست اشك ان امه وعمته وكثيرين من اصدقائي سيضيفون اليها وصايا اخرى ، وساكتب عنها نسختين اسلم الواحدة لصديقي الابر السيد ديمتري تادرس نزيل دمشق الان ، وارسل بالثانية الى سلفي الدكتور جرجي دعدس في نابلس ·

كنت اقول في قديم الزمان لا اترك القدس الا منفيا، فكان الاقدار شاءت ان تحقق قولي هذا فجئت الى دمشق منفيا مكبلا بالحبال ·

دمشق بلد القباقيب فان كل المساجين يروحون ويجيئون بالقباقيب ، بل كنت ارى من نافذة السجن كثيرين من الرجال والنساء يمشون في الطريق بالقباقيب ، ولعل ذلك دليل على ارتخاء الاخلاق ان جاز لي ان اقول هذا والا فالنشاط يقتضي خلاف ذلك ·

صدق من قال «دمشق مطبخ كبير» فلا حديث للناس الا الاكل ، ولعل قولهم «هذه فاكهة جديدة» بدلا من قولهم «هذا شيء جديد» تسرب الى اللغة من دمشق ·

القدس ،

الخميس في ١٩١٩/١/٢٣

في مثل هذا اليوم قبل احدى واربعين سنة ولدت وسميت خليلا على اسم اخي البكر الذي توفي طفلا ·

اقدم ما اتذكر من ايام طفولتي اننا كنا نعيش في دارنا داخل المدينة ، وكان شعري احمر بلون شعر سري وسلطانة اليوم ، وانه كان مرسلا بحيث كان يضفر كما يضفر شعر البنات ، واني كنت سمينا بحيث كنت مع قصري كالكرة اتدحرج تدحرجا ، وانا كنا نلعب مع اخوتي واولاد عمي في «حوش» الدار ونملا الجو باصواتنا ، وقد كنا نسكن سنة في دارنا داخل المدينة وسنة في دارنا خارج المدينة ··

ثم جعلوا يرسلونني الى مدرسة الروم ، وكانت داخل الدير الكبير ، فلطمني مرة المعلم على وجهي لغير ذنب ولا علة ، فاخرجني ابي من المدرسة ورفع الامر الى رئاسة المدرسة فنقلوا المعلم المشار اليه الى بلد اخر · وكان الانكليز قد فتحوا مدرسة في القدس فارسلوني اليها ، وكان المعلم فيها امين نصر ، وكنت دائما الاول بين جميع التلاميذ · ولم يكن في المدرسة احد اقوى مني جسما فكنا في اوقات الفراغ نتصارع فكنت اصارع اربعة او خمسة معا ولم يكن احد يستطيع ان يزحزح قدمي عن الارض ولذلك كنت ذا نفوذ بينهم · ولان المدرسة كانت في محلة المسلمين كان الاولاد المسلمون يتحرشون بتلاميذ المدرسة في ذهابهم وايابهم ، ولكنهم لم يكونوا يجرأون على التحرش بهم وانا معهم ، بل كانوا اذا رأوني يلوذون بالفرار · فزادني ذلك اعتزازا بنفسي واعتدادا بها واولعت منذ ذلك الحين بالعناية بصحتي وقوتي ودروسي ·

وكنت في عطلة المدرسة الصيفية اشتغل بالنجارة، اشتغلت مع يوسف نجاها في السوق الجديد وكنت محبوبا عند كل من كان يشتغل هناك من بنائين ونجارين وغيرهم ، وقد تمرنت على تسلق السواري والمشي على الرواق من الجانب الواحد الى الاخر بسرعة· وكنت في يوم السبت حين يذهب المشتغلون ليقبضوا اجرتهم من رئيس العمل اتخلف عن الذهاب معهم لاني كنت اخجل ان اقف موقفهم وامد يدي لاتناول اجرتي · كنت اتلذذ بالعمل في ايام العطلة ولا سيما وقد كنت محبوبا اما لاني صغير السن سريع الحركة او لانهم كانوا يحسنون معاملتي اكراما لخاطر ابي لانهم تلاميذه في صناعة النجارة فلم اكن القى منهم الا التشجيع والتنشيط ، فكانوا اذا ارسلوني في قضاء حاجة اشق الطرق كالسهم المنطلق ، ولم اكن اصدق ان تنتهي ايام المدرسة حتى ارجع الى الشغل ·

ومما كنت مولعا به في ايام الصغر تربية الخراف ، ففي كل سنة يشتري لي ابي خروفا او جديا فكنت

اذهب به بعد المدرسة مع رفاق كثيرين من اترابي ومع كل واحد منا خروف او جدي الى الحقول المجاورة نرعاها ، فكنا رعاة صغارا . ما اجمل تلك الايام .

القاهرة ،

الثلاثاء في ١٤/٢/١٩٢٢

اقام المصريون اليوم حفلة تكريم لامين الريحاني في بهو الجامعة الاميركية ، وقد سبقتها حفلات عديدة لتكريمه في اماكن مختلفة . فمر علي الصديق نعوم بك شقير فذهبنا معا ، فكان البهو غاصا بجمهور كبير من مصريين وسوريين .

ذهبت لاني احب ان ارى أمين الريحاني لاني لم اره قبل اليوم الا مصورا في صدر كتابه «الريحانيات» وصورته في كتابه تمثله في ميعة الشباب ولعلها لا تمثله احسن تمثيل . واحببت ان اقف على نفسية الناس في مثل هذه الحفلات . وساشير هنا الى بعض تاثراتي وملاحظاتي على وجه الاختصار :

١ـ اذا كانت الخطابة ان يكون الكلام منسجما اخذا بعضها برقاب بعض ، ان يكون المنطق جزلا والصوت جهيرا ، ان نفخم الحروف المفخمة ونرقق الحروف الرقيقة ونختلس الحركات القصيرة ونشبع الحركات الطويلة ونمد الممدودة ونراعي فيه كل اصول التجويد ، ان يمثل المعنى تمثيلا ، فكل الذين خطبوا خطباء مصاقع . واذا كان الشعر ان يكون الكلام موزونا ، والقوافي محكمة ، فكل الذين انشدوا القصائد شعراء . ولكن اذا كانت الخطابة ان نكاشف الناس بافكار جديدة او نعالج المواضيع المبتذلة من باب جديد ، ان تعرض على الناس من علمك او اختبارك ما لم يكن لهم به عهد ، فليس بينهم من يستحق ان يسمى خطيبا . واذا كان الشعر ان تأتي الناس بوحي جديد ، فليس بينهم شعراء . بل قد سمعت قبل اليوم في سوريا وفلسطين من الخطباء والشعراء من هم اطول باعا في هذا النوع من الشعر والخطابة .

٢ـ ليست هذه اول مرة زار فيها الريحاني القطر المصري ، بل هي الثانية . ولم يكن في زيارته الاولى اقل شهرة في عالم الادب منه اليوم ، بل لعله كان له من نزوات الشباب وبدوات الخاطر وشدة العواطف وحدة الجنان وتلهب الذكاء وطلاوة الجديد ما يعظم وقعه ويجل شانه ، فجاء وذهب ولم يدر به احد ، فما معنى اكثارهم من الحفلات اليوم لتكريمه ؟ وقد ظهر لي من كلام الخطباء والشعراء بل سمعت من كثيرين من الادباء انهم لا يعرفونه ولم يقرأوا له شيئا قبل اليوم والذين عرفوه لم يعرفوا عنه الا الشيء النادر القليل مما لا يستدعي مثل هذه الحفاوة . يلوح لي انه هذه المرة قد جاء في الوقت المناسب . جاء والنفوس متلهبة والخواطر ثائرة فلم يكن احتفالهم به الا وسيلة لعقد الاجتماعات واظهار ما تكنه النفوس الخ . وكانت الحفلة اشبه بالاجتماعات الوطنية منها بالاجتماعات العلمية الادبية .

مما يؤيد قولي هذا ان الخطباء الشعراء تكلموا كثيرا الا عن الريحاني ، والناس صفقوا كثيرا الا للريحاني ، فما اشبه الريحاني وهذه الحفلات بذلك الخطيب الذي سأل احد اصحابه عن رأيه في خطابه ، فقال : «لو كان الموضوع مصابا بالحمى القرمزية لما سرت العدوى الى الخطاب» اي ان الخطاب كان بعيدا جدا عن الموضوع .

٤ـ من اغرب ما رأيت والمكان اميركي والمصريون يبشرون بالديمقراطية انهم اجلسوا بعض المدعوين على دكة الخطابة كأنهم أعلى من ان يجلسوا بين الناس كالناس . الحفلة لتكريم العلم والادب لا لتكريم الغنى او السن او الزعامة او الوجاهة او غير ذلك ، ولكن الذين اجلسوهم فوق الدكة ليسوا من اهل العلم والادب ، بل لم يكن بينهم من أهل العلم الا الدكتور صروف وقد الح عليهم ان يتركوه بين الناس فابوا عليه ذلك . فاعلاء بعض المدعوين فوق بعض لا يناسب مع المكان وهو اميركي ولا يناسب مع الروح الديمقراطية التي يدعون اليها ويبشرون بها . ولا يأول ذلك الا انهم لا يزالون عبيد اراء قديمة بالية ، وانهم لا يحتفلون لتكريم احد الا اشركوا في تكريمه ساداتهم من أهل الوجاهة والغنى الخ . اني احتج على ذلك فليس من المجاملة ولا اللياقة ان تدعو الناس لحضور حفلتك ثم تتولى تقسيمهم الى طبقات فتضع هذا في الطبقة الاولى وذاك في الطبقة الثانية . أنت حر ان تكرم وتجامل من شئت ولكنك لست حرا ان تحقر احدا . الم يكن معنى ذلك ان صاحب الدعوة قال للناس : «انتم طبقات فمنكم طبقة عالية ومنكم طبقة واطئة» .. ؟

٥ـ خيل الي والخطباء يخطبون والشعراء ينشدون والناس تارة يصفقون ويهتفون وتارة يستكنون ويهمدون اننا في جو سحري ، في مجلس سحرة ، وقديما كانت مصر بلاد السحر والشعوذة . لم يكن الخطيب او الشاعر يؤثر في الناس لانه خطيب او شاعر ولكن لان

صاحب الدعوة يقدمه الى الناس كخطيب وشاعر ، فتتجه اليه الابصار وترهف الاذان ، بل ويقابل بالتصفيق قبل ان يعلو المنبر ويقول كلمة · بل لو وقف واعتذر ثم نزل لعده الناس خطيبا او شاعرا ، بل ربما استهوى هو نفسه وحسب نفسه خطيبا او شاعرا · كان يقف الخطيب او الشاعر فيخطب او ينشد فقد تقع كلمة من كلماته في نفس احد الحاضرين اما لانه فخم الحرف المفخم او رقق الحرف الرقيق او اشبع الحركة الطويلة او اخلس الحركة القصيرة ، او لانه اشار بيده او رفس برجله او رفع رأسه او خفضه اوالتفت الى الوراء او الى جانب ، او لان الكلمة نفسها من الالفاظ السحرية الرنانة التي اعتاد الناس ان يتأثروا لها في غير هذا الموقف ، او لغير ذلك ، فينتفض انتفاضة العصفور بلله القطر ، فيصفق ، فيشترك معه الناس في التصفيق · بل رأيتهم يصفقون اذا جاءت نوبة شاعر او خطيب فقال صاحب الدعوة انه تخلف عن الحضور بسبب مرض او شغل او غير ذلك وانه سيرسل تحيته للمحتفل به ، فكانهم كانوا يصفقون لتلك التحية قبل ان يسمعوها او قياسا على ما سمعوه منه قبل اليوم ··

الناصرة في ١٩٣٢/٣/٢٢

اكتب اليك هذه الرسالة من الناصرة ، وقد جئنا اليها يوم الاحد بعد الظهر · هذه اول مرة زارت امك واختاك فيها هذه المدينة ، مدينة يسوع الناصري ، واول مرة قطعت امك فيها مرج ابن عامر من الجنوب الى الشمال ·

وصلنا الناصرة في اخر النهار فذهبنا توا الى عين العذراء ، وكانت الفتيات ذاهبات اتيات يحملن الجرار على رؤوسهن برشاقة فخيل الينا ان العذراء ام الاله بينهن ، وكان الصبيان يلعبون في الطريق فخيل الينا ان يسوع الناصري يلعب معهم ، وما ادرانا ان مريم اخرى وان يسوع اخر قد تاتي بهما الايام فترقى الام ويرقى الابن الى مصاف الالهة وتتصل الارض بالسماء مرة ثانية ·

ذهبنا بالامس بعد الظهر مع الاستاذ نعمه الصباغ وسيدته وولده الصغير في سيارة واحدة ، فكنا اربعة كبارا يزن الواحد منا نصف قنطار على الاقل ، وثلاثة صغارا ، ما عدا السائق ، الى طور ثابور · وما ادراك ما طور ثابور ؟ جبل رسا اصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرع لا ينال طويل ، يبعد عن الناصرة نحو اثنين وعشرين كيلومترا · تسلقنا هذا الجبل في سيارتنا في طريق ترابية كثيرة الدورات ضيقة ففي كل خطوة منها خطر · وقد تلذذنا كثيرا لوجود هذا الخطر فلولاه لما كان في تسلقه كبير امر · ما وصلنا الى اعلاه الا والارواح بلغت التراقي · قد يكون الصعود اليه مشيا او على الدواب اسهل وامن ولكن لا يمكن ان نجد هذه اللذة التي وجدناها مع الخطر · لا شك ان هذا شان الانسان في كل امر ، لوكانت طرق الحياة سهلة واسعة معبدة مفروشة بالرياحين لما كانت في اجتيازها لذة ، بل احر بالحياة اذا كانت سهلة كل السهلة ان تكون مملة تافهة ، اليس الامر كذلك ؟ ··

القدس ،

الاثنين في ١٩٤٠/٥/٦

خرجنا ، اختي ميليا وانا ، الى المقبرة ، فنثرنا الزهور وذرفنا الدموع ·

كانك يا ام سري تموتين كل يوم ، وكاننا نمشي في جنازتك كل يوم ، وكاننا نرى نعشك موضوعا على حافة القبر ونحن وقوف نودعك ونبكيك كل يوم ، ننظر الى وجهك الجميل وقد حفه ذلك الشعر الجميل الذي لم يعل رأس فتاة شعر في لونه ، ثم نغطي النعش فيتوارى ذلك الوجه الجميل الى الابد ، فنحس ان النور ظلاما ، ثم نعود وكان كل واحد منا يحمل على صدره جندلا او حديدا ·

كل يوم نقف هذه الوقفة صامتين لا ننبس بكلمة ، لاننا لا نستطيع ان ننبس بكلمة ، لا نستطيع ان نمتنع عن البكاء الا اذا كنا صامتين · نزورك كل يوم صامتين ، نروح ونجيء صامتين ، نخاف ان ننبس بكلمة لئلا نبكي واذا امتنعنا عن البكاء كبتنا الحزن كبتا ، فنحن الدهر كله بين هذين الامرين ، نحزن فنهم بالبكاء فنرده ونتجلد ·

كانت حياتي وانت معي اقبالا على الدنيا ، واما اليوم فقد اصبحت استعدادا للرحيل عن هذه الدنيا ، كانت سرورا مستمرا فاصبحت حزنا مستمرا ، كانت رضى مستمرا فأما الان فان شعاري «لن ترضى!» ·

الخميس في ١٩٤٠/٥/١٦

خرجنا ، اختي ميليا وانا ، الى المقبرة ، فنثرنا الزهور وذرفنا الدموع ·

وردتني رسالة من فيلسوف «الفريكة» امين الريحاني صدرت عنه في الخامس من هذا الشهر فتكون قد قطعت احد عشر يوما قبل ان تصلني ، وهذا نصها :

سيدي خليل السكاكيني

ولا اقول اخي لانك علوت في حزنك على الاخاء البشري ، واخوك في الكون الاعلى هو «الشاه جهان» ، بل انت اليوم «الشاه جهان» وكتابك في ام سري هو «تاج محال» ، فاهنئك بحزنك واقراك السلام .

امين الريحاني

الثلاثاء في ١٩٤٣/١٠/٦

.. زارني مساء الدكتور طه حسين مع سكرتيره فريد شحادة . وقد حضر الجلسة كثيرون ، بعضهم جاء عفوا وبعضهم سمع بالزيارة فلم يحب ان تفوته وهم : عوني عبد الهادي ، عادل جبر ، شبلي الجمل ، حبيب الخوري ، عبد القادر الجنيدي وخير الدين قريه ، وهذان الاخيران من ادباء حماه ، والاستاذ ابراهيم الخوري ..

السبت في ١٩٤٣/١١/٦

ما احب وما اكره :

انا لست فوضويا ولا ثوريا ولكنني اكره سوء الاستعمال ايا كان مصدره . اكره الحاكم الذي يراعي الخواطر ويحابي الوجوه ، الذي لا يكون عادلا الا اذا كان العدل لا يغضب احدا ولا يرضي احدا ، الذي لا يكون حازما الا على المستضعفين المتنذلين ، ولا هينا لينا خافض الجناح مقلوم الظفر الا امام القوي الغني . اكره الحاكم الذي ينظر بغير عينيه ، ويسمع بغير اذنيه ، ويسير بغير رأيه ، ويعتمد على غير عقله ، ويستسلم الى غير وجدانه ، بل يكون آلة صماء في ايدي ذوي الاغراض والمطامع يصرفونه كما يشاؤون .

اكره رئيس الدين الذي يصفي عن البعوضة ويبتلع الجمل ، الذي ينهي عن خلق ويأتي مثله ، الذي لا يخاف الله ولا يستحي من الناس ، اكرهه ولو قبلت اذياله الملوك ، واحتقره ولو عظمه الناس اجمعون .

اكره الغني الذي يضحي بكل شيء في سبيل جمع الثروة ، الذي يقيس كل شيء بمقياس الربح ، ويبني قيمته على ما يخزنه لا على ما يحسنه . اكره الغني الذي يقبض يده عن تعزيز المبادىء السامية وتأييد المشاريع المفيدة . اكره الغني الذي يهمل تربية اولاده فيعيشون معيشة البذخ والطيش فيكونون اعضاء فاسدة في الهيئة الاجتماعية ولعنة على ذويهم وعلى الانسانية .

آثار خليل السكاكيني

١ ـ **الاحتذاء بحذاء الغير** ، القدس ١٨٩٦ .

٢ ـ **فلسطين بعد الحرب الكبرى** ، القدس ١٩٢٠ .

٣ـ **مطالعات في اللغة والادب** ، القدس ١٩٢٥ .

٤ـ **سري** ، القدس ١٩٣٥

٥ـ **حاشية على تقرير لجنة النظر في تيسير قواعد اللغة العربية** ، القدس ١٩٣٨ .

٦ـ **لذكراك** ، القدس ١٩٤٠ .

٧ـ **وعليه قس** ، القدس ١٩٤٣ .

٨ـ **ما تيسر** ـ جزءان ، القدس ١٩٤٣ ، ١٩٤٦

٩ـ **الجديد في القراءة العربية** ـ اربعة اجزاء ، القدس ١٩٢٤ ـ ١٩٣٣ .

١٠ـ **الاصول في تعليم اللغة العربية** ـ الدليل الاول والثاني ، القدس ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ .

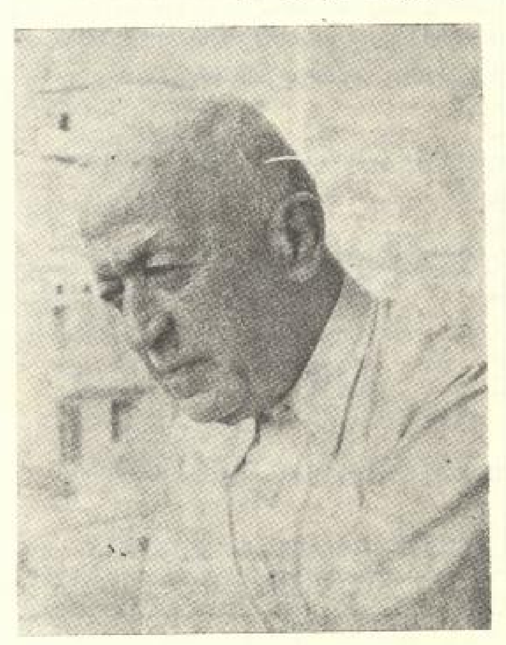
اكره الفقير الذي يحسب الفقر عذرا لخسته ودناءته

اكره الرجل مهما كانت حالته ومنزلته الذي يرى سياسة بلاده كما قال روزفلت الكبير متدرجة من رديء الى اردأ منه ولا يحرك ساكنا ، ويسمع عن ظلم الحكام فيضحك ولا يبالي ، ويشاهد سوء الادارة وتعويج القضاء ولا يبذل جهده في اصلاح الحال .

كما اني احترم الحاكم الذي لا يراعي في المنام خليلا ، ورئيس الدين الذي يتجرد عن الدنيا ويبني رئاسته على قلوب شعبه لا على رقابه ، والغني الذي يجمع ثروته عن طريق الشرف ويكون عضوا نافعا في الهيئة الاجتماعية والرجل الصحيح المبدأ الحي الوجدان الجريء الصدر الذي يتطوع لنصرة الحق يدافع عنه بقلمه ولسانه وعمله ولو قلت انصاره وكثرت اعداؤه . بمثل هؤلاء تعتز البلاد وتعلو مكانتها والى مثلهم ارفع احترامي الفائق وسلامي الجزيل .

الاربعاء في ٣١/١٢/١٩٤٧

بعد ان اويت الى فراشي في ساعة متأخرة من الليل سمعت جرس التلفون ، فقمت من فوري وانا اقول : ما هذا التلفون في مثل هذه الساعة ! واذا بالدكتور محمود عزمي يطلبني من مصر .



صورة للفنان في شيخوخته :
خليل السكاكيني سنة ١٩٥٢

قال : «اذكر مؤلفاتك» .

فقلت : «خير ان شاء الله ؟ »

فقال : «ان الدكتور طه حسين سيقترح انتخابك غدا عضوا في المجمع اللغوي» .

فذكرت له بعض كتبي ونسيت البعض الاخر ، ثم تبادلنا النكات ، وكانت سيدته واقفة بجانبه فتبادلنا التحيات والاشواق .

كانت بطاقتي قبل اليوم على هذه الصورة :

خليل السكاكيني
انسان ان شاء الله

واما وقد رشحوني «لامر لو فطنت له» كما قال الطغرائي ، ولا يهمني بعد هذا الترشيح انتخبت ام لم انتخب ، فسأجعل بطاقتي على هذه الصورة :

خليل السكاكيني
عضو في المجمع اللغوي ان شاء الله

وهذا اخر خبر اختتم به هذه السنة ، سنة ١٩٤٧ .

الجمعة في ٢٦/٥/١٩٥٠

.. جاء الصيف وليس عندي ثياب صيفية ، فاشتريت بزة بنية ، فلبستها وذهبت الى قهوة بالميرا ، الى حلقة العترة ، فكانت البزة موضوع التبريك : مبارك يا استاذ ! مبارك يا استاذ ! وقد تبارى السيد موسى جورج الشاعر اللبق ، والدكتور رشيد كرم ، وهو من الشعراء المجيدين ، فتتابعت القصائد في التبريك والتنويه بعلمي وفضلي ، وسأثبت هذه القصائد او اضعها في اطارات جميلة واعلقها في غرفة الاستقبال ، بل قد اعلقها على صدري فلا القى احدا الا قلت له : اقرأ !

كل شيء حسبنا حسابه الا الخرف !

الخميس في ٢٩/٦/١٩٥٠

كنت اتصفح الاهرام عدد اليوم فوقع نظري على عنوان «مصاب ال العيسى» فقرأت الخبر واذا به نعي رفيق العمر ، شقيق الروح ، الخليل الوفي ، عيسى العيسى ، فحزنت الحزن كله ، بل احسست كأنما نعيت نفسي لي ...

واذا رحل عن هذه الدنيا فما انا الا هامة اليوم او الغد ، واذا كان الموت ان يتحول الجسم الى تراب فاني منذ اليوم كتلة من التراب تمشي على الارض الى ان يدركها القدر المحتوم، فتنهار الرواية ، وينسدل الستار ، وكان ما قد كان لم يك كان .

فولفغانغ فورت
استاذ الادب الالماني في جامعة القاهرة

هينريش بول

منحت جائزة نوبل للاداب عن العام الماضي للاديب الالماني «هينريش بول» ، وذلك بعد مرور ثلاثة واربعين عاما لم تكن فيها من نصيب اي اديب الماني اخر ، اي منذ ان حصل عليها «توماس مان» سنة ١٩٢٩ .

ولو تصفحنا اي معجم ادبي لنعرف شيئا عن حياة «بول» لوجدنا هذه الحقائق الموجزة : ولد في اليوم الحادي والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩١٧ لاب يعمل بالنحت وصناعة الاثاث في مدينة كولونيا ، وقضى سنتين في تعلم تجارة الكتب ودراسة الادب الالماني قبل ان يلتحق بمعسكرات العمل ، ثم جند في الحرب العالمية الثانية من سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥ وجرح اربع مرات ، وتفرغ للكتابة والتاليف منذ سنة ١٩٤٧ الى اليوم .

هذه الحقائق الموجزة لا تشير الى تجارب «بول» الشخصية وحسب ، وانما تحدد المعالم الرئيسية في عالمه الفني الرحب الذي يضم القصة القصيرة والرواية والتمثيلية الاذاعية والمقال .. فهو قد ولد سنة ١٩١٧، ورأت عيناه النور في ذلك الشتاء القاسي والحرب العالمية الاولى مشتعلة الاوار ، وبلاده تئن تحت وطأة الحكم القيصري ، وأبوه يتولى حراسة الجسور بهمة ونشاط ..

ولم يكد يتم السادسة من عمره في سنة ١٩٢٣ حتى اطل التضخم المالي برأسه فدمر الطبقة الوسطى ، وكان من أهم العوامل التي ساعدت هتلر على الوثوب الى السلطة . ثم لم يكد يتم الثانية عشرة حتى هبت عواصف الازمة الاقتصادية العالمية فتزايدت جيوش العاطلين ، واهتزت أركان المسرح السياسي تحت أقدام جمهورية فيمار . وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره كان هتلر قد دخل دار المستشارية وقبض على زمام السلطة . وقد استطاع «بول» أن يفلت من منظمة «شباب هتلر» ، ولكنه لم يلبث ان اضطر للانضمام الى معسكرات العمل ، ثم أدركه التجنيد الاجباري فاشترك في الحرب العالمية الثانية وهو في الثانية والعشرين من عمره ، ولم يعد الى بلده الا بعد ست سنوات ليجد الخراب والدمار في كل مكان .

هكذا قضى «بول» سنوات صباه وشبابه في ظل نظام شمولي وفي غمار حرب بشعة . فلا غرابة اذن أن تترك التجارب الاليمة التي عاناها تحت حكم الرايخ الثالث وفي اثناء الحرب العالمية الثانية اعمق الاثر على اعماله .

يقول «بول» عن نفسه وظروف حياته : « لقد ولدت في ضواحي «كولونيا» ، واعتقد أن الضواحي تلعب دورا كبيرا في رواياتي . أعتقد ايضا ان النثر يحتاج الى مكان ، او ان شئتم — وارجوكم الا تفزعوا من هذه الكلمة ! — فهو يحتاج الى ارض . كانت مدينة براغ هي أرض «كافكا» . أما أنا فكانت هذه الارض بطبيعة الحال هي المدينة التي أعرفها خيرا مما اعرف سواها — وهي المدينة التي تندر ان سميتها باسمها — بل احسب انني لم أذكرها في اي عمل من اعمالي »

هذه المدينة التي يسميها «بول» «ملكة الراين غير المتوجة» هي التي ولد فيها ، وهي التي رجع اليها بعد انتهاء المذبحة العالمية ، وهي التي يعيش فيها اليوم . لقد أحب كنائسها المبنية على الطراز الروماني ، واعتز بأنها لم تأخذ السلطة الزمنية ولا السلطة الروحية مأخذ الجد ابدا ، وارتاحت نفسه لتسامح اهلها وسماحتهم وحسهم الفطري بالمرح والدعابة . وهو يصف هذا الحس اللطيف بقوله : « قد يبعث مظهره الرسمي على الرعب ، ولكنه يبدو في الشارع العام وقد كسته ملامح الحكمة والجلال » .

اهم ادوات الكاتب

وأسلوب «بول» في الكتابة أسلوب واقعي نزيه . فهو لا يحاول أن يجمل الواقع أو يصبغه بالالوان الخلابة والاحلام الزائفة . يقول في عبارة له « ان العين البصيرة من اهم ادوات الكاتب ، وينبغي لهذه العين ان تكون انسانية ونزيهة »

وتقوم واقعيته على موهبة الملاحظة الدقيقة التي تسير فيها الموضوعية والدراسة جنبا الى جنب ويدا في يد ، وهو يصف نفسه بأنه «يدافع عن الادب المعتمد على الوثائق» . ولعل اخر رواية كتبها وهي رواية

«صورة جماعية مع سيدة» ان توضح ملامح اسلوبه على افضل وجه • فهو يصفها بأنها «شبه وثيقة» • ومرجع هذا ، فيما يقول ، الى انه « لا يزال يجهل الفرق بين ما هو خيال وما ليس بخيال » • ان الرواية قد تحول الى مخبر هاو يسأل الشهود ، ويسجل اقوالهم ، ولا يدخر جهدا في تجميع المادة المتعلقة بالشخصيات الرئيسية،بحيث يتقمص بالتدريج دور رجل المباحث ••

و «بول» كاتب اخلاقي ملتزم • وما اكثر ما رفع صوته بالنقد والتحذير سواء في كتاباته او أحاديثه وخطبه ومقالاته التي عبر بها عن نفسه كشخصية عامة•

وما اكثر ما سبب لنفسه او لغيره من متاعب ! •• استمع اليه وهو يقول : « ان الالتزام عندي هو المنطلق هو الاساس ، وما اشيده على هذا الاساس هو ما افهمه من الفن • ويتعذر على تحديد ما التزم به ومالا التزم به ، فتلك اشياء اخفيها في رواياتي – وربما كانت قدرتي على ذلك قليلة وحظي من التوفيق فيه ضئيلا »•

ومن الصعب أن نحدد ما يعنيه «بول» بالالتزام او أن نصف ما يلتزم به •• ولعله يكون ملتزما بنزعة انسانية ممتدة الجذور في عقيدته الكاثوليكية السمحة وايمانه بالاشتراكية ، ومقالاته العديدة لا تعنى بالمشكلات الفنية او الشكلية قدر عنايتها بالمسائل الاخلاقية التي تحركه للكتابة وتدفعه الى نقد العصر• ولهذا نجد كلمات كالضمير والمسئولية تتردد كثيرا في كتاباته ، وبخاصة في سياق كلامه عن مهمة الاديب ورسالته • كما نجد ان الموضوعات الاثيرة الى نفسه لا تكاد تخرج عن موضوعات كالطفولة ، والذكرى ، والحب ، والجوع ، والموت ، والحقد ، والخطيئة ، والذنب ، والعدالة وما شابهها او جرى مجراها من موضوعات • من الواضح ان اغلبها يدور في افق المسيحية •

الاديب : ضمير الامة

يبرز « بول » في اعماله سخف الحرب بكل صورها واشكالها ، وعبث القتال والقتل والضحايا البشرية ، ومحنة الاخلاق التي دفعت البعض الى خلق الفاشية واشعال نار الحرب ، وهو كذلك يدين مجتمع ما بعد الحرب ، المجتمع الذي انصرف الى التعمير ولم يشغله سوى امر واحد هو زيادة نسبة الانتاج والتوزيع والاستهلاك ، ففوت على نفسه فرصة محاسبة النفس وتجديدها بالاخلاق،وعجز عن الخروج من الماضى بالعبرة التي تصلح للحاضر •

واشد ما يؤلم « بول » هو التهرب الجماعي من المسؤولية الاخلاقية ، فهو في نظره جريمة يتحمل وزرها مجتمع الرخاء الذي جاء بعد الحرب • وهو يعبر عن هذا المعنى بقوله : «ان موت جيرانهم واصدقائهم لم يعلمهم احترام الحياة ، الاثم الذى قاسوه لم يتحول الى حكمة . والحزن الذى غرقوا فيه لم يمنحهم القوة ، انهم فقراء الى حد لا يصدق ، فهم في مواجهة الخطر الدائم لا يملكون القدرة حتى على التمتع بالرخاء النسبي الذى وصلوا اليه • ان جوع السنوات التي سبقت « الاصلاح النقدى » لم تمدح بالحكمة التي تكفيهم للاستمتاع بمباهج اللحظة الحاضرة استمتاعا حقيقيا ، والشقاء الذى كابدوه لم يعلمهم شيئا ولم يأخذوا منه عبرة ، وكل من تمتد به الذاكرة الى الوراء عشر سنوات يعد في نظرهم مريضا او نعسان يغط في نوم عميق يجب ان يصحو منه ليشارك في شؤون الواقع » • ولكن « بول » لا يريد ولا يستطيع ان ينسى – تشهد بهذا كل اعماله ابتداء من اقاصيصه الاولى حتى روايته الاخيرة التى ذكرناها من قبل « صورة جماعية مع سيدة » • انه يريد ان يهز الذاكرة ويبقيها يقظة • يريد الا يشارك في التهرب من الماضى – فالاديب في رأيه هو ضمير الامة •

شعارات الادب الشاب

و « بول » كاتب خصب الانتاج الى حد مذهل – انه الان في الرابعة والخمسين من عمره ، وقد نشر ما يربو على الاربعين كتابا . لا يمكننا بطبيعة الحال ان نذكرها جميعا في هذا المجال • يقول عن بداياته الاولى: « لقد حاولت دائما ان اكتب • وجربت ذلك في وقت مبكر ، ولكنني لم اجد الكلمات الا بعد ذلك بوقت طويل » •

وقد بدأ محاولاته الاولى بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٨ ، في الفترة التي غادر فيها خيرة الادباء الالمان بلادهم ليعيشوا في المهجر ولزم من بقى منهم الصمت تاركين كتاب الفاشية يتعقون بأدب « الارض والدم » •

ونشر « بول » اولى قصصه القصيرة في سنة ١٩٤٦ و ١٩٤٧ ، وفازت احداها بجائزة « جماعة ٤٧ » التي تألفت سنة ١٩٤٧ من مجموعة من ادباء الشباب الذين اتفقوا على احياء القيم الانسانية الخالدة في ضمير امتهم وتجاوز المحنة الرهيبة التي مزقتها واصبحوا اليوم المع النجوم التي تزدهر في سماء الادب •

هكذا ولد ادب جديد بعد انتهاء الحرب في سنة ١٩٤٥ ادب سماه بعض ذوى النية السيئة بأدب الخرائب

والانقاض . وقد اعترف « بول » بانتمائه لهذا الادب ودافع عنه بقوله : « نحن نكتب اذن عن العودة للوطن وعما رأيناه في الحرب وما وجدناه امامنا بعد العودة ، نكتب عن الخرائب والانقاض . وقد نشأت عن ذلك ثلاثة شعارات علقت على جبين الادب الشاب : ادب الحرب والعائدين والانقاض » .

جرب « بول » العديد من الاشكال والانواع الادبية ، ولكن معظم النقاد متفقون على انه قد حقق افضل اعماله في القصة القصيرة التي بدأ بها حياته الادبية .

على ان حب « بول » للقصة القصيرة وايثاره شكلها الشاعري المركز لم يمنعه من الاتجاه الى الرواية . ففي سنة ١٩٥١ ظهرت روايته الاولى « اين كنت يا آدم » والسؤال موجه من الله الى خليفته المسكين الضائع في الارض ، يطالبه فيه بتقديم الحساب عما اقترفت يداه . والانسان لا يعدم حجة يتبرر بها : « كنت في الحرب العالمية » . وتدور الرواية حول عبث الحرب وسخفها ، فتصور ذلك من خلال ما ترويه عن تدمير احد الجسور ثم اعادة بنائه ثم تدميره من جديد ، كما تصوره من خلال المصير الذى تلقاه الشخصية الرئيسية التي يفاجئها الموت في لحظة العودة فتخر صريعة على اعتاب بيت الابوين بعد سنوات طويلة مريرة قضتها في الحرب .

وتوالت روايات « بول » . فظهرت له ثلاث روايات ومجموعة من القصص القصيرة . والرواية التي نشرت سنة ١٩٥٣ « ولم يقل كلمة واحدة » تشير بعنوانها — الذى اخذه بول من احدى الاغاني الدينية الزنجية — الى صلب السيد المسيح ، وتدور حول متاعب الزوجين «بوجنر» وظروف حياتهما القاسية وسط خرائب المدينة التي بدأ بعض اهلها يستفيدون من المعجزة الاقتصادية!

وقد صور فيها بلادة الفرد وجمود المجتمع والكنيسة والدولة . وحققت هذه الرواية نجاحا كبيرا ودعمت شهرة «بول» ومجده الادبي داخل بلاده وخارجها .

اما روايته « بيت بلا حراس » التي ظهرت سنة ١٩٥٤ فتصور المتاعب التي تلقاها ارملتان واولادهما بعد الحرب وتصف العذاب والشقاء الذى يقاسيه الايتام على اختلاف مستواهم الاجتماعي ، كما يقاسيه الفاشلون الذين يعجزون عن مواجهة الناجحين .

وروايته « خبز الاعوام السابقة » التي ظهرت سنة ١٩٥٥ تدور حول قصة حب تجمع بين شاب وفتاة ، وتتم القصة في غضون يوم واحد وتنتهي بزواج اضطرارى . وقد استطاع « بول » ان يضمنها وصفا صادقا للماضى المظلم وسنوات الجوع التي كان الخبز فيها اهم شيء عند الانسان . كما يتضح من عنوان الرواية نفسه .

براعة التفاصيل والجزئيات

وانصرف «بول» فترة غير قصيرة الى كتابه الاقاصيص والحكايات الساخرة والتمثيليات الاذاعية قبل ان تظهر روايته الهامة « بلياردو في التاسعة والنصف » سنة ١٩٥٩ . وهي تحكي قصة ثلاثة اجيال تتداخل مع بعضها البعض من خلال تقرير يكتب عن احداث تتم في يوم واحد . فقد بنى المهندس « روبرت فيميل » ديرا في سنة ١٩٠٨ وجاء ابنه فدمره في سنة ١٩٤٥ . وها هو ذا حفيده يريد ان يعيد بناءه .

وواضح من هذا الكلام عن البناء والدمار ثم اعادة البناء ، ان الرواية تقدم التاريخ الالماني في القرن العشرين في صورة مكثفة وايقاع مركز ، وانها تعبر في المقام الاول عن فترة مظلمة في حياة الشعب الالماني هي فترة الحكم الفاشى والحرب وما بعد الحرب بكل ما فيها من جوع وموت ، وقسوة وظلام ، وجشع وبشاعة .

ولهذا نرى « بول » يصور اناسا تعذبوا وسقطوا صرعى بينما كان غيرهم يستغلون الموقف لصالحهم ويصكون من شقاء الناس عملات ناجحة . والرمز المسيحي هنا واضح . وهو رمز القربان الذى يقوم في الرواية بدور خطير . فهناك قربان الحملان التي تتحمل وتضحي ، وقربان الجاموس والثيران التي تعرف كيف تنفذ من كل الصعاب والعقبات ..

ونجد هذا التقابل ايضا في رواية « آراء مهرج » التي ظهرت سنة ١٩٦٣ ولا تخرج في الواقع عن ان تكون مناجاة او « مونولوجا » داخليا يملأ خمسة وعشرين فصلا ! . انها تصور نموذج الانسان العاجز عن التكيف مع البيئة المحيطة به في شخصية المهرج « هانز شنير » الذى يتمرد على الكنيسة والمجتمع تمردا لا يخلو من السذاجة والفجاجة ، ثم يفقد كل امل في الحياة وينهار عندما تهجره حبيبته . ومع ان المهرج من مواليد سنة ١٩٣٥ الذين لم يعوا اهوال النازية والحرب وعيا حقيقيا ، الا ان «بول» يدخل في روايته كل مآسي الماضى وكوارث المحنة الطويلة . فلم يكن من السهل على المؤلف ولا على البطل ان يتخلصا من اشباح ذلك الماضي الكئيب الذي تجلى في يأس البطل ونقده المرير للكاثوليكية او بالاحرى لاحد اشكالها .

وآخر رواية ظهرت لـ « هنريش بول » هي كما قدمنا رواية « صورة جماعية مع سيدة » سنة ١٩٧١ ، وتدور

احداثها في العقد الثالث والرابع من هذا القرن·والراوية يقدم فيها تقريرا عن سيدة كتوم هي « ليني جرويتن ». فيسأل الشهود ويجمع المعلومات المختلفة عنها · ومن هذه الشرائح المتعددة تتشكل صورة حياة « ليني » التي احبت الاسير الروسي «بوريس» وبلغ حبهـا ذروته في ظل الخطر الدائم من الموت والقنابل وسلطات الامن ورجال الحكم ، كما تتكون صورة اخرى من مجموع الشهود ، بحيث نجد امامنا في النهاية لوحة مركبة متشابكة تعبر عن العصر كله · وقد اتاح هذا الشكل القصصي البسيط لـ « بول » ان يظهر براعته في تصوير التفاصيل والجزئيات في يسر وسلاسة ·

المسئولية والضمير والالتزام

ولن نستطيع ان نعرض لتمثيليات « بول » الاذاعية ومقالاته وخطبه واحاديثه ومسرحيته الوحيدة « جرعة من تراب » وترجماته التي قام بها بالاشتراك مع زوجته عن الادب الايرلندى ، لا لضيق المجال فحسب ، بل لان « بول » يحيا في ضمير قرائه ككاتب اخلاقي وشاهد على عصره وناقد له قبل كل شيء · انه روائي وقصاص يهتم بالمسؤولية والضمير والالتزام اكثر بكثير من اهتمامه بمشكلات الفن النظرية او التجارب الشكلية الخالصة · ولعل هذا من اهم اسباب شهرته واقبال القراء على اعماله · ولعله ايضا ان يكون من اهم الاسباب التي منح من اجلها جائزة نوبل للاداب ·

ولسنا نريد بهذا ان نقلل من شأن انتاجه الفني ، وانما نريد ان نؤكد موقفه الاخلاقي الذى صدر عنه في كل ما ابدعه قلمه ، وهو موقف نترك له ان يختتم بنفسه حديثنا عنه : « ان من واجبنا ان نلفت الانظار الى ان الانسان لم يوجد لكي يحكم ويدبر شئونه فحسب ، وان الدمار الذى يشهده عالمنا ليس بالدمار الخارجي ولا هو من الضآلة وقلة الشأن بحيث نزعم ان في الامكان الخلاص منه في خلال سنوات معدودة » ·

ترجمها بتصرف :
د· عبد الغفار مكاوى

هينريش بول

وجهي الكئيـــب

ترجمة : كمال ممدوح حمدي

بينما كنت اقف بالقرب من الميناء لارقب النورس استلفت وجهي الكئيب نظر رجل البوليس الذى كان في حراسة تلك المنطقة ··

كنت مستغرقا تماما مع منظر الطيور وهي تحوم ، كانت تحلق عاليا ثم تنقض باحثة ، عبثا ، عن شيء تأكلـه ·

كان الميناء مهجورا ، الماء اخضر وموحل بمخاط الزيت القذر ، وفوق قشرة سطحه الجامدة تطفو كل انواع الغثاء التي طردها البحر · ليس ثمة من سفينة ترى ، الحاملات صدئة ، والمظلات انقاض ، بل لم يكن ثمة حتى فار واحد يسكن نقاضة الحجارة السوداء الصغيرة بجانب الخليـج ·

كانت الدنيا هامدة صامتة ، ولسنوات عديدة انقطع الاتصال بالعالم الخارجي بكل وسائله ·

ثبت عيني على طائر معين من طيور النورس ارقب طيرانه · كان عصبيا كعصفور يشعر بطقس رديء فالتصق بسطح الماء لا يجسر الا قليلا على التحليـق يلهث للحاق برفاقه ·

لو ان لي القدرة ان اتفوه بأمنية لتمنيت خبـزا اطعمه للنوارس ، اقطعه واضعه نقطة بيضاء كهدف لذلك الطيران بدون هدف ، اضع لها هدفا تطير اليه بان القى قطعة من الخبز تشد اليها فوضى طيران تلك الطيور الصارخة فينتظم مسار طيرانها ، وتمسكها كانما تشدها اليها بخيوط تحكم قبضتها ، ولكـن ما حيلتي وانا نفسي جوعان مثلها تماما ، ومتعب مثلما هي متعبة ، وان كنت سعيدا برغم اكتئابي ، اذ كان رائعا ان اقف واضعا يدى في جيبي وانا ارقـب النوارس واشرب وانا هكذا مكتئب ·

فجأة هوت يد رسمية على كتفي ، وقـال صوت : « تعال معي » ، وفي نفس اللحظة حاولت اليـد ان تقبض على كتفي وتشدني لاستدير · وقفت ثابتا ، هززتها وقلت في هدوء : « انت مجنون ! »

وقال الرجل ، وكنت لم اره حتى تلك اللحظة : « ايها الرفيق ، انذرك •• »

اجبت : « ولكن ، يا سيدى ••• »

قال بغضب : « ليس في الامر سيد فكلنا رفاق »

ثم قفز ونظر الي من جانبي ، وكنت مضطـرا ان استجمع شتات نظرة سعيدة اصبها في اغوار عينيـه الواثقتين •• كان جادا مثل جاموسة لم تتغذ لاعـوام الا على « الواجب » فحسب •

وقلت : « لاى سبب ؟ »

فاجاب : « لاسباب كافية ، وجهـك الكئيب ! » ضحكت •••

قال : « لا تضحك » وكان غضبه سافرا ، في البداية ظننت انه كان ضجرا ، لانه لا وجود لنساء معتمدات للمتعة ، او بحارة سكارى ، ولا لصوص او هاربين من الخدمة العسكرية يقبض عليهم ، لكني الان اشعر بـه شغوفا يتحرق شوقا الى القبض علي •

« تعال معي ! »

وسالته بهدوء : « لماذا ؟ »

وقبل ان انتبه الى شيء كان معصمي الايسر مقيدا بسلسلة رفيعة ، وفي تلك اللحظة عرفت انني ـ مرة اخرى ـ قد ضعت • التفت حولي مرة اخرى انظر الى النوارس المحلقة ، واتطلع الى السماء الرمادية الجميلة وحاولت بحركة فجائية حادة ان اقفز الى الماء ، لانه بدا لي من الافضل ان اغرق في ذلك الخضم القذر من ان يشنقني الجلادون في فناء اسود ، او ان اسـجن مرة اخرى •

لكن رجل البوليس جذبني اليه ولم يعد بعد ذلك بامكاني الفرار ••

وسالت مرة اخرى : « ولكن لماذا ؟ »

ـ « ثمة قانون يحتم ان تكون سعيدا »

صحت : « انا غاية في السعادة ! »

رد وهو يهز راسه : « وجهك العبوس ••• »

قلت : « لكن هذا القانون جديد »

ـ « لقد صدر منذ ست وثلاثين ساعة ، وانت تعرف تماما ان اى قانون يصبح نافذا بعد اربع وعشرين ساعة من اقراره »

ـ « لكني لا اعرفه ••• »

ـ « وهذا لا يعفيك • لقد اذيع اول امس على كل الموجات ، ونشر بكل الصحف ، وبالنسبة لهؤلاء » ـ وهنا نظر الي بازدراء ـ « بالنسبة لهؤلاء الذيـن حرموا من نعمة الصحافة ولا يملكون مذياعا ، فقد اعلن لهم في كتيبات القيت بكل شوارع الدولة •

وعلى هذا سنبحث اين كنت ايها الرفيق خلال الست والثلاثين ساعة الاخيرة »

واقتادني بعيدا ••• شعرت الان لاول مرة ان الجو بارد ، وان ليس لي « جاكيت » ، والان ايضا استيقظ حقيقة جوعي وعربد بارجاء معدتي ••• والان ولاول مرة ادركت انني كنت قذرا ، غير حليق ، وان ثمـة قوانين تحتم ان يكون كل رفيق نظيفا وحليقا وسعيدا وجيد التغذية •••

••• كانت الشوارع خالية وكان الطريق الـى مركز البوليس قصيرا ، ورغم اني كنت على يقين مـن انهم سيجدون في الحال كل الاسباب للقبض علي فقد كان قلبي مفعما ، لانه اقتادني من خلال الاحياء التـي قضيت بها شبابي والتي كان في نيتي ان ازورها مرة اخرى بعد زيارتي للميناء : الحدائق التي طالما الفتهـا زاخرة بالشجيرات ، جميلة في خروجها عن رقابة النظام ، والممرات النامية الحشائش ـ كل هذا الان قد سوى وشذب ورتب ونظف ووضع في الميادين من اجل الفرق القومية التي تقوم بعروضها هناك كل يوم اثنين واربعاء وسبت • لم يبق شيء كما هو الا السماء والهواء ، كما كانا في الايام الخوالي عندما كان قلبي مفعما بالاحلام •

وهنا وهناك ، حيث كنا نمضي ، رايت فوق « ثكنات الحب » شعار الدولة معلقا لهؤلاء الذين ياتي دورهم يوم الاربعاء للمشاركة في المتعة الصحية واطلقت حمامات كثيرة علامة على بدء الشراب ، وكوب بيرة ، صنع مـن الصفيح ملون بالوان الدولة ـ بني فاتح ، بني غامق ، ثم بني فاتح ـ لا شك ان البهجة كانت تملأ قلوب هؤلاء الذين شملتهم قوائم الدولة لشراب يوم الاربعـاء وسيسمح لهم بذلك الشراب •

كانت امارات الحمية التي لا يمكن ان تخطيء واضحة على وجوه كل الناس الذين صادفناهم ، كما كان جـو الجد والاجتهاد يشع حولهم ، خاصة عندما رأوا رجل البوليس •

كانوا يمشون سراعا ، ويلبسون جميعا وجوهـا جهدوا في ان تنم عن احساس كامل بالواجب ، وكانت النسوة اللاتي يخرجن من المحلات تجهدن في طبع تعبير بالسعادة على وجوههن وبالبهجة انهن يقمن باعبـاء الزوجة التي تقدر المسئولية ، والتي كان واجبها ان

تعد وجبة فاخرة لعمال الدولة عند عودتهم مع حلول المســـاء •

لكن كل هؤلاء كانوا يتحاشوننا بمهارة حتى ان احدهم لم يضطر الى مقاطعة طريقنا او المرور امامنـــا مباشرة ، وحيثما كانت اثار الحياة ترى في الشارع كانت تختفي امامنا قبل ان نصلها بعشرين خطوة ، وكـــل منهم يجهد في ان يدلف الى دكان او يتحول الى ركن قصي ، ولعل بعضهم دخل منزلا لا يعـــرف صاحبه ، وانتظر مذعورا مفزعا خلف الباب حتى يختفي وقـــع اقدامنـــا •

حدث مرة واحدة عندما كنا نمضي عابرين احد الطرق ان قابلنا رجلا مسنا ، تعرفت عليه من الاوسمة التـــي على صدره انه ناظر مدرسة ، لم يستطع ان يتحاشانا، وبعد ان ادى التحية لرجل البوليس بالطريقة الرسمية (بأن يضرب راسه ثلاث مرات ببطن يده علامة عـــلى الخضوع كل الخضوع) بعد ان ادى له التحية بـذل جهدا كبيرا لاداء واجبه الذي كان يتطلب منه ان يبصق في وجهي ثلاث مرات وان يسبني بالصيحة الاجباريـــة « خنزير خائن ! » • كان قصده طيبا ، لكن اليـــوم كان شديد الحرارة ، ولا بد ان حلقه كان جافا لان رذاذا دقيقا وخفيفا فقط هو الذى وصل وجهي من بصقته • حاولت ـ مخالفا في ذلك التعليمات ـ ان ازيحه بكمي ورداعلى هذا ركلني رجل البوليس في ظهري ووخزني بعصاه في عمودي الفقرى مضيفا بصوت هادىء « الدرجة الاولى » يعني ان هذا هو ابسط واخف درجات العقاب الذى من حق رجل البوليس ان يستخدمه •

واسرع ناظر المدرسة بعيدا •• وفيما عداه فقد تمكن كل واحد سواه ان يهبني بصقة ، ما عدا امرأة خارج « ثكنات الحب » والتي كانت تهيىء نفسها لـــروح متعة المساء • القت الى تلك المرأة الشاحبة ، الرخوة الشقراء بما يميل الى الزرقة ـ قبلة طائرة ، وابتسمت لها شاكرا بينما تظاهر رجل البوليس بانه لم يلحظ شيئا ، فقد كانت لديهم الاوامر ان يسمحوا « لهؤلاء النسوة » ببعض الحريات التي تجلب اشد العقوبات على رؤوس غيرهن ان مارسنها • فما دمن يجلبن قـــدرا هائلا من البهجة في عملهن فلا بد من اعتبارهن واقفات خارج القانون مستثنيات من عقوباته ، وهو امتياز كان من نتيجته ان باركه فيلسوف الدولة الدكتور « بـــلا يجوت » باكاديمية الدولة للفلسفة ، باركه على انـــه علامة على بداية التحرر • وقد قرات في اليوم السابق وانا في طريقي الى العاصمة عندما وجدت صفحات قليلة من تلك النشرة في دورة مياه مزرعة احد الفلاحـــين •

وعليها تعليق غاية في الذكاء كتبه احد الطلبة ، لعله ابن صاحب المزرعة •

لحسن الحظ اننا وصلنا الان الى قسم البوليس ، لانه في تلك اللحظة زعقت الصفارات ، وكان هذا يعني ان الشوارع ستعج بالوف الناس تمتلىء وجوههم امارات معتدلة للسعادة « لان الاوامر كانت تقول بانه عند مغادرة العمل لا ينبغي على المرء ان يظهر سعادة كبيرة ، لان ذلك قد يوحي بان العمل عبء ثقيل ، لا ينبغي ان يبدى التهليل والبشر الا عند بداية العمل فقط ـ التهليـــل والغنـــاء » ••

وسيكون على كل هذه الالوف ان تبصق في وجهي كانت الصفارات تعني انه مسموح بعشر دقائق راحة لكل انسان ليغتسل من الراس الى القدم ، لمدة عشـــر دقائق وفق شعار رئيس الدولة الحالي : « السعادة والصابـــون »

كان باب قسم البوليس المحلي ، كتلة بسيطة يقوم على حراسته جنديان ، وضعا علي ـ وانا امر ـ « العقوبة البدنية » كما هي العادة • ضرباني بقسوة بالسونكي على صدغي ، ووضعا فوهتي بندقيتيهما على الترقوتين حسب ما تنص عليه « ديباجة قانون الدولة رقم ١ » : « انه من واجب كل رجل بوليس ان يطبع بصمة على كل فرد يمسك « ويعنون يقبض عليه » ممثلا بذلك قوة في ذاته ، ويستثني من ذلك كل من يمسك بشخص مقبوض عليه ، لانه سيكون من حسن حظه ان ينفذ « العقوبـــة البدنية » عند الاستجواب •

وقانون الدولة رقم ١ نفسه يقول « يستطيع كل رجل بوليس ان يعاقب اى انسان ، بل يجب عليه ان يعاقب كل انسان اقترف خطأ • وليس ثمة اعفـــاء من العقاب لاى رفيق ، ولكن امكانية الاعفاء من العقاب فحسب » •

عبرنا الان ممرا عاريا طويلا مليئا بالنوافذ الطويلة ثم فتح باب تلقائيا ، لانه في نفس الوقت كان الحارسان قد اعلنا عن وصولنا • في تلك الايام ، عندما كان كل شيء سعيدا وطيبا ومنظما ، وكل كان يبذل قصـــارى جهده لينظف نفسه برطل الصابون كل يوم حســـب التعليمات •• في تلك الايام كان وصول رجل ممسوك «مقبوض عليه » ـ واقعة تشهد •

دخلنا غرفة مكشوفة ، لم يكن بها الا مكتب وهاتف وكرسيان • وكان على ان اقف في وسط الحجرة ، وخلع رجل البوليس درعه وجلس •

(التتمة على ص ٧٤)

زكي درويش
وتوقف القطار
قصة

لو كان ممن يجيدون كتابة المذكرات لابتدأ بتاريخ حياته منذ ذلك اليوم ، اعني يوم عاد الى المنـــزل وفوجيء بمنظر غير مألوف ، غير طبيعي . منظر مــن الذي يسميه المثقفون بالانعطاف - انعطاف في خــط سير حياة انسان اعتاد ان يسير بخط مستقيم .. وهو من ذلك النوع من الناس الذين لا يعرفون معنى السأم ، هو ببساطة لم يستطع امتصاص هذه العادة ، وهو يؤمن - ايمانا تاما - ان اي انحراف في خــط سير انسان هو في الحقيقة بداية سيئة ، ميلاد مأساة قد تبدو بعيدة ، ولكنها - لا محالة - في يوم من الايام - واقعة . فالسيارة التي ركبها اول مرة انقلبت عندما انحرفت انحرافا حادا في احد المنعطفات ونجا هــو باعجوبة .

والمنظر الغير مالوف الذيشاهده بدا له ايضا كبداية سيئة . وكان اول ما فكر فيه انه سيقلع من هــذا المكان الجديد الذي اختاره بعيدا عن العمران . رجال كثيرون ، اكثر من عشرة ، يحملون الات عديدة ومتنوعة عصي مدهونه بالابيض والاحمر تبدأ مما يشبه السهم الحديدي ، منظار يقف على ثلاث ارجل ، خيوط وحبال ورجل بنظارات لا يفعل اكثر من الاشارات الى جميع الاتجاهات .

وذهب الرجال . ليعودوا في اليوم التالي ، وقبل ان يمضي الاسبوع ، ويستوعب معنى ما يقومون به كانت تقبل من الغرب الات ضخمة كبيرة ، وكانت تتقدم بسرعة غريبة نظرا لحجمها الهائل .. واستغرق منظر الاقبال من الغرب حتى الاختفاء في الشرق مدة شهر كانت كافية لان تفتت اعصابه تماما في بحـــر من الاصوات العنيفة الشديدة . الغام تحرك لها منزله من الاساس ، صخور تطير في الفضاء بعضها الى الارض وبعضها لا يعود ، آلة ضخمة تقلع الحجارة باسهل مما يقتلع بصلة من الارض . خطوط من الاسمنت يقطعها طولا خطان متوازيان من الحديد .

- هذا يعني القطار !

ابتسم ، لكن بمرارة .

هذا يعني القطار !!

وجلس في انتظار القطار . كان متاكدا ان القطار سيأتي يوما ، لكن المدهش انه اتى باسرع مما كـــان يتصور ، لم يكد يبلور فكره تماما . كان متاكدا ان هذا هو البداية السيئة للامور .. ومن خلال التصـــورات كانت تومض احيانا فكرة جميلة ، سرعان ما تتبخر .

- لا يمكن ان يكون القطار فالا حسنا ..

ولكن القطار اتى ، باسرع مما كان يتصور ، وقبل ان يبلور فكرة ما .. كان يقول لصديقه الوحيد :

- هل تعرف ، في هذا الزمان تدور الامور بسرعة اكثر !!

- اسرع ؟

- انت اذن لم تلاحظ ذلك ؟

- فعلا

- اذن اسمع ، الاشياء التي ننتظرها تتحرك عادة ببطء ..

- صحيح ..

- ولكني الاحظ ان هذه الاشياء اكثر سرعة فـــي هذه الايام .

- هناك جانب اخر للموضوع ، فالانتظار هو انتظار، ولكن ذو وجهين ، الاشياء الكريهة تمر بسرعة والجميلة ببطء ..

- هذا تفسير معقول .

- كما ان هناك وجها اخر .. سرعة تفكيرك لهـــا علاقة ايضا ..

- هذا الكلام ليس في صالحي ، اعترف انني بطيء التفكير . اسمع : كنت متفوقا في جميع المواضيع اذا ترك لي مجال التفكير ، لكن سرعة الاشياء اليوم تجعل تفكيري يتوقف .

- انك تتكلم كالمثقفين

- وهذا ما اكرهه .

وعندما جاء القطار كان يضع السكر في كوب الشاي قبل شروق الشمس ، ابتدأ الحادث بصفارة طويلـة امتدت مده من الزمن جاءت من الغرب ، اخترقت جدران الصمت الى داخل الكوخ الخشبي من الشباك الغربي، دارت قليلا في الكوخ ثم خرجت من الشباك الشرقي ،

وظلت تضعف تدريجيا حتى ماتت تماما في الشـرق مخلفة وراءها طنينا خفيفا في راسه ازداد وضوحا عندما اغمض عينيه ، وكانت الارض تتحرك ، ربما من اثـر مرور القطار فوق القضبان حتى خيل اليه ان القضبان موصولة بنابض مع ارض الكوخ ٠

فاتته رؤية القطار الجديد ٠

كان في انتظار رائحة الدخان المتصاعد من فوهته العالية ، وكان في انتظار دخول غيمة الدخان الى الداخل ٠ تاركة في اثرها رائحة كالحريق الطازج ٠

يقولون ان قطر اليوم تختلف عن قطر زمان ، يعني عن القطار الذي شاهده مرة واحدة مع والد والده ـ نعم ، جده ـ قبل سنوات طويلة ٠٠

يقولون ان القطار الجديد ، لا يطلق الدخان كغيمة محملة بالمطر الثقيل ، ويقولون ان لونه ليس اسود ، بل هو انيق ، له نوافذ واسعة تلمع تحت اشعـة الشمس بزجاجها النظيف وحوافيها المغلفة بالنيكل ، وهي امور ان صحت ـ فعلا ـ فستكون غاية في الروعة تستحق المشاهدة ٠ لكن الغريب في الامر ان الصفارة هي هي ، والضجيج واصطكاك العجلات فوق القضبان تطلق نفس الضجيج ، فالتغيير اذا ليس جذريا كما يقولون ٠

ـ على اي حال هو شيء يستحق المشاهدة ٠

ـ انك تبدو انسانا من العصر الجليدي

ـ فعلا ٠ هناك تعابير لا افهمها ٠

ـ ولا تسأل ؟

ـ اخجل

ـ مرض لعين ٠

ـ اخترتك من بينهم لانك اقلهم سلاطة لسان

[لن اقول له كل شيء ، لن احكي له حكايـة الانحرافات التي اخشاها ، اعني الانحرافات الفجائية جدا ، جرب ذلك عدة مرات ، سيطرت علي فكرة البعد عن كل شيء ٠ أن تأكل وتنام وتعمل كالحمار ٠ هذا كل شيء ٠ انا اكل ، وانام واعمل كالحمار فعلا ٠ لكنهم هناك يضيفون شيئا جديدا الى حياتهم ٠ العيش فـي القلق الدائم ، عليك ان تفتح عينيك وتبقى في حالـة استعداد دائم كجندي معرض في كل لحظة لهـجوم مباغت ، وهذا ما لا اريده بتاتا ٠ لا اريد ان اختلط باحد ، انا لست هاربا ٠ انا ابحث عن ابسط طـرق السلامة] ٠

عندما كان يحرك الشاي في اليوم الثاني كانـت الصفارة تدخل من الشباك الغربي وتخرج من الشرقي كما حدث في اليوم الاول ، ونسي مرة اخرى ان يخرج لمشاهدة القطار ، وفي اليوم الذي يليه وصلت الصفاره تماما عندما كان يفتح النافذة وينظر الى الكواكـب الشرقية لتحديد الوقت ، ببساطة ، فرح وهو يـرى الضوء الخاطف يأتي من الغرب ويتقدم بسرعة مذهلة ، والصفير لا ينقطع، ومر القطار كالحلم الغريب ، الجميل، اللذيذ ، خط طويل من الاضواء يسير بسرعة ، تمتم في نفسه :

ـ للحقيقة ٠٠ هذا شيء جميل ولكنه مزعج ٠٠

ومرت اسابيع طويلة قبل ان يكتشف شيئا ابتسم له في نفسه ٠

قال :

ـ فلنفكر في هدوء ، القطار يمر في هذه اللحظات ، عندما افتح الشباك لاحدد الوقت ، عند شرب الشاي ، عن مغادرة البراكس ، تماما عند اليقظة ، الوقت واحد ٠

اكتشف ان موعد القطار ثابت ، لابد انهم يسيرون بموجب ساعة مضبوطه بدقة ، قرر ان يخوض تجربة من نوع جديد ، قال في نفسه :

ـ هي مغامرة او مخاطرة

وفكر طويلا في الليل ، نام في ساعة متأخرة ، وكان القرار يتأرجح بين الرفض والقبول ، افاق في الفجر على صوت الصفارة ، قرر ان لا يفتح النافذة ، ان لا ينظر الى الكواكب ، شرب الشاي ، تناول طعامه في كيس صغير وذهب الى مكان العمل ٠

ـ هل تغير شيء ؟

ـ مثل ماذا ؟

ـ هل وصلت متأخرا ؟

ـ كلا ٠٠ كالعادة ٠٠ لماذا ؟

ـ لا شيء

ابتسم هذه المرة ، لن يتعرض لهواء الصباح الرطب ، وخاصة في ايام الشتاء لتحديد الوقت ٠ صفارة القطار مضبوطه بدقة غريبة ، وليس من الحكمة ان يتعرض للخطر في كل صباح ٠

كان قبل ذلك قد جعل من نفسه ساعة دقيقة ، مع الزمن ، مجرد نظرة واحدة الى السماء تكشف لـه الزمن بدقة ، كتلة النجوم تلك ، هناك تعني ان الليل في منتصفه ، النجمة اللامعة جدا في الشرق تعني موعد اليقظة ٠ [ولكن احذر ، هناك نجمة مشابهة الى حد بعيد، وهي تظهر قبلها بساعات طويلة ، عليك في هذه الحالة ان تستعين بالضوء ، النجمة الحقيقية تظهر عندما يكون لون الليل ازرق ، وتلك المزيفة عندما يكون اسود ، في الشتاء تكون الامور اكثر صعوبة ، وفي وهذه الحالة يجب

الاستعانة بالاصوات المنبعثة من اماكن مجهولة ، كيف اشرح ذلك ؟ آسف هي امور صعبة للغاية ، ولكني — انا — شخصيا استطيع ان افهم ذلك ، ولا بد لــك من التعود]

وكان يعرف حالة الطقس (من حركات الاشجار ، ومنظر غروب الشمس وشروقها ، والهالات التي تدور حول القمر ، ولمعان النجوم) ، بشكل غير عادي ٠

القطار اراحه من ذلك كله ٠٠

لا يدري كم اسبوعا مر ، كم شهرا ، انما تاقـت نفسه مرة الى معرفة الوقت عندما افاق في الليل ، فتح الشباك بحذر ٠ فوجيء بالنجمة الشرقية ٠

— خدعني القطار ٠

اسرع يغسل وجهه ، بعد الشاي ، غادر الكــوخ بسرعة ، مشى ساعة ، الى مكان العمل ، جلس طويلا ، العمال لم يحضروا ٠٠ دخن كثيرا ٠٠ مكان العمل لا يبعد كثيرا عن كوخه ٠٠ سمع من هناك صفارة القطار ، شاهد الضوء الخاطف ٠٠ من الشرق كانت النجمــة تلمع بوضوح ، ولون الليل ازرق ٠٠

— خدعتني النجمة ، للحقيقة : القطار ، جميل ، ودقيق ٠

حاول في الليالي التالية ان يحدد الوقت ففشل تماما ، لم تعد لديه الدقة الكافية لملاحظة الوان الليل المتعاقبة والقطار دائما يصفر في اللحظة المناسبة ، واكتشــف اخيرا انه نسي تماما خبرته بالنجوم واحوال الطقس ٠

— كم مضى على ظهور القطار ؟

— كم تظن

— سنة او بعض سنة

— مسكين ، حجري ، سنوات

— ياه ، سنوات ؟؟

سنوات ، ارتبط بالقطار في موعد اليقظة ٠ اما العودة ، فكان الجرس المعلق في الساحة يعلنها في الوقت المناسب ٠ لم يحدث ان خدعة القطار ، كما لم يحدث ان خدعة الجرس المعلق في الساحة ٠ اما علاقته بالظواهر الطبيعية التي وصلت قمة الفهم والتفاهم ، فقد انحدرت بالتدريج حتى استحال التفاهم بينه وبينها ، فتخلى عن العلاقة باسف شديد في البداية ، ثم بأسف اقل ، ثم اصبحت ذكرى ٠

ثم وقع ما لم يحسب له حساب ٠

حدث الانحراف الشديد ٠ مرة اخرى بدون مقدمات ، بدون اشارات ٠٠ افاق من نومه ، واصيب بتوقــف التفكير ، او توقف القدرة على فهم ما يدور حوله ٠ كان النور الابيض شديدا ، يغرق الكوخ الخشبي من الارض الى السقف ، ناصعا يكنس اثار الليل بمكنسة ناعمة جدا ، بقفزة واحدة كان يقف ، اما القفزة الثانية فقد القت به خارج الغرفة ٠٠

— ليس حلما ٠٠

[الرعيان باصواتهم العالية ، الفلاحون بغنائهــم وشتائمهم ، الشمس المرتفعة كثيرا ، كل هذا ليس حلما كما بدا لاول وهلة]

اراد ان يوقف اندلاق التفكير المتشعب الى عدة اتجاهات ، ويحوله في اتجاه واحد ٠ لم يستطع ، جلس الى جانب الباب كمن يفكر ولكن بدون قدرة ٠٠

— ليس حلما ، اذن فما معنى هذا كله ٠٠

كان يسابق الشمس على مدى ستين سنة ، وكان يسبقها في كل يوم في الحر والبرد ، الصحو والمطر ، السكون والعاصفة ، اليوم يتوقف الزمن عن الدوران ٠ سبقته الشمس لاول مرة ، والعملية ليست بالسهولة التي تبدو فيها عندما تقال كخبر ٠ ولكنها حقيقة لا يحسها الا الذين قضوا اعمارهم يسابقون الشمس ، وما اقلهم ، اليوم سبقته الشمس ، كان ينظر اليها بحقد ٠ يسمع القهقهة التي تطلقها على شكل اشعة حادة لامعة تخترق جسمه طولا وعرضا وفي كل الاتجاهات ٠٠ ثم تتشابك امام عينيه الى حد تصبح فيه جدارا من الضوء ، لشدة لمعانه يصبح غير شفاف ، كحائط من الاسمنت السميك ، والقهقهة الاعلى والاشد كانت تنطلق مــن قضبان الحديد الممتدة حتى الاختلاط بالافق ، تلمع كسهمين موجهين الى قدرته على الادراك والوعي ٠

— هل جاء القطار ، واطلق صفارته العالية ولــم اسمعها ، ام هل تخلى القطار عن موعده — هذا هــو السؤال ٠ الجلوس خير جواب ٠

طال جلوسه ، وعاد العمال والفلاحون والرعــاة والقطار لم يعد من رحلته ٠

— اذن القطار لم يبدأ رحلة هذا اليوم ٠٠ وانا اريد ان اراه ولو لمرة واحدة تحت ضوء النهار ٠

القطار لم يعد ، وهو جالس في الانتظار ٠ تماما حيث كان يجلس في الصباح وطوال ساعات النهار ٠ طال الليل ، ظهرت النجوم ، ابتسم لها ، كشر لها ، ضحك لها ، اعتذر لها ، تحول اللون من الاصفر الــى الرمادي ، ثم الى الاسود تماما ٠ لمعت الحباحــب ٠ الصباح بعيد ، ظهرت النجمة اللامعة ٠ لا لستانت ٠ هناك واحدة اخرى ، لمع الشرق باشعة زرقاء باهته — ظهرت النجمة اللامعة (الاخرى) ٠ نعم انت ، بالضبط انت ٠٠ الصفير لم يسمع هذه المرة ايضا ، غسل ، صنع الشاي ٠ تناول طعامه وذهب الى العمل ٠

ميشيل حداد

الهروب

الى جانبي اريدك بلا تصفيق
فقد تعودت عليك مع الغناء
اردده بلا تكلف
والصبا المنطلق من عينيك
يبتسم في وجهي مرحبــــــا
فاهرب اليه واختبىء فيه
واتذكر شطحات احلامي المستحيلة
حين كنت اطير فيها بقميص المدرسة
اعتمد كفي المفتوحتين فوق عين العذراء
من جبل القفزة الى الخانوق
ثم ارتد هابطا الى المرج واستفيق
ابحث في زوادتي
عن منقوشة الزيت والزعتر
ورائحة الابوة التي افتقدتها صغيرا
بينما كنت اتحلق مع رفاقي
حول العين القريبــه
تبدو ابعد عن بيوتنا من الفضاء الخارجي
نتسابق منها حتى الكنيسة العتيقه
والحصى تنزلق بين صنادلنا والاقدام

واجراس المدائح والختن
تبشر بالفطائر وكعك العيد
اما وقد شرقوا وجه العين
ونقلوا حجارتها الرطبة ذات الطحالب
ذات الحناء المبصوم بالاكف نذورا عنا
فقد اصبحت فوق مستوى انزلاقنــــا
لم تعــــد لــــي
وقد لفعهــــا ضجيج الحافلات
ولكنات الالسنة السائحة
بمختلف تناقضات برج بابل
تغطي اصالة القاف النصراويه
لم تعد لي تجاعيد آبائي القديمه
بعد ان انتقلت الى جبهتي
فصرت افتقدك بجزع
لاتحسس ملوسة خديك
والتلمس الصبا المنطلق من عينيك
يبتسم في وجهي معطرا
فاهرب اليه واختبىء فيه
بكل ما لدي من عناق وقبلات

عزام جملة

الملحمة في الادب التركي

ما من دولة عظيمة الا ولها تاريخ وفن وادب عظيم ٠٠ فلو تصفحنا التاريخ لوجدنا حقائق يؤيدها الفن الماثل في ما تركت هذه الدولة من مبان او هياكل ، وما كشفته معاول علماء الاثار فبين التاريخ والفن صلة عميقة الجذور لا تزعزعها الزلازل ولا تضعضعها البراكين ولا تستطيع الامطار ان تزيل بصماتها ٠

هكذا اذن يسير التاريخ والفن معا في طريق الزمن تحت مظلة الادب ٠٠ والادب وحده هو الذي يملك حريته بان يظلل الطريق بكاملها او يترك هوة فسيحة فيها صحار وغابات ٠

الادب هو العصفور الوحيد الذي يطير في الوقت الذي يشاء للجهة التي يشاء بالعلو الذي يشاء ويحط على الغصن الذي يشاء ٠

الادب هو ذلك الصقر الذي حمل قريش الى الاندلس ٠٠ ذلك الصقر الذي شاهدناه بخلايا عقولنا ونحن ننزف حرقة في صفوفنا الصغيرة ٠ انه الرخ الذي حمل السندباد ٠٠ انه مغارة علي بابا ٠٠ كما انه الحمام الزاجل الذي يحمل رسائل المحبين الى القمر ٠

والاديب هو الذي يحرك الدنيا ٠٠ يقيمها ويقعدها خلف دخان سجائره ، وهو الذي يجعل انهار العالم تترك مجاريها وتسير على خدود حبيبتي عندما يتأخر عليها ساعي البريد ٠

ولكن عندما يكون التاريخ بدون فن ٠٠ عندمايكون الكتاب الاصفر بلا كلمات ٠٠ عندما يكون الرخ مقصوص الريش ينتحر الفنان والاديب ويتركا للناس سرد فصول التاريخ ٠٠ والناس ليس لديهم منفضة غبار لهذا يعبرون عما تحت الغبار بالكيفية التي يريدون ٠٠ وبهذا يصبح التاريخ رواية ليس لها اصل ولا قرار ، ويصبح التاريخ خرافة يدخل اليها مصباح علاء الدين وتتفتح لها ابواب علي بابا ٠

ولكن عندما ننفض الياسمين عن كتب الادب نجد اشياء اخرى اطرى واجمل ٠٠ نجد اشياء حلوة عذبة ٠٠ والفرق بين التاريخ والادب هو ان اراك تأكل التفاحة ٠٠ او ان يأكلها ادم ٠

بهذا تبدأ الاساطير والخوارق التي يظللها الادب الملحمي ٠٠ والملحمة هي ذلك الطراز من الادب الذي ليس له اديب ٠٠ هو الادب الذي ليس له مسكن انه يفترش كل القلوب والابصار ويلتحف كل مسمع ٠

الملحمة تروي احداثا لم تقع وتصف ابطالا لم يولدوا وتحملنا الى اماكن على الارض مثمرة غنية ابتلعت مكتشفيها قبل ان يقولوا ٠٠ وجدناها ٠٠

الادب التركي غني بالملاحم ٠ ومن الجدير بالذكر ان معظمها يتعلق بالحروب والبطولات الخارقة مثل ملحمة ارجينيكون واسترجون والشيخ شامل ودادا اوغلو وكور اوغلو والحدود الشرقية وكنج عثمان وعكا وفتح استانبول وملحمة اليونان ٠ اخترت منها ملحمة ارجينيكون لان حوادثها تدور في اواسط القرن السادس قبل الميلاد ٠

قرات الملحمة اكثر من مرة ، وفي كل مرة كنت ارى اشياء بعيدة عن اعين القراء العرب ٠ لهذا قررت ان الخص احداث هذه الملحمة واقدمها الى كل من يحب الاطلاع على ادب الشعب التركي ٠

«ملحمة ارجينيكون»
باختصار عن كتاب الملاحم التركية
تاليف : كمال زكي كنج عثمان ٠

تدور احداث هذه الملحمة في اواسط القرن السادس قبل الميلاد في تلك البقعة من الارض التي يقال عنها اسيا الصغرى ٠ وموضوعها قبيلة «جوك ترك» وهي قسم قليل من الملحمة التركية الكبيرة ٠

كانت جوك ترك من القبائل العظيمة التي سكنت اسيا الصغرى ٠ وكانت عظمتها ماثلة في سيطرتها على جميع القبائل التي في المنطقة ٠٠ ومثل هذا الوضع لم يكن يتوافق وهوى تلك القبائل لهذا اتحدوا وجمعوا جيوشهم لمحاربة القبيلة العملاقة ٠

استجابت جوك ترك لنداء الحرب واجتمع العقلاء فيهم وقرروا ان يجمعوا متاعهم في مكان واحد ومن ثم القيام بحفر خندق عميق حول هذا المكان ٠ نفذ القرار على الفور واخذت سواعد الشباب تدق الارض بهمة

ونشاط الى ان حفروا خندقا عميقا جدا • ثم استعد المحاربون وبقيت عيون السيوف تنتظر دماء القادم الى تلك الارض التي لم يسبق طاطات جبهتها لاي قبيلة من قبل •

وجاءت الجيوش •• مندفعة الى ارض جوك ترك فسقط منهم الكثير في الخندق وقضت النبال على عدد كبير منهم •• وهكذا استمرت الحرب عشرة ايام بانتهائها انتصرت جوك ترك •

ولكن الهزيمة لم تكن قادرة ان تردع تلك القبائل عن هدفها فاجتمع رؤساؤها مرة ثانية وقالوا : –

– ان لم تتدبر الامر ما بيننا وننتصر على جوك ترك فاننا سنصل الى حالة يرثى لها ، لا بد من حيلة توصلنا للنصر •

اخذت العقول المتآمرة تحوك حقدها تحت جنـــح الظلام ، والغيظ يأكلها كما تأكل النار الحطب •• واخيرا اشرقت الفكرة فسجد لها الكبير والصغير •

وبينما كانت جوك ترك تقوم باعمالها المعتادة اذا بالغبار يسد عليها الافاق •• فاستعدت للقاء ولكن الليل حل ولم يصل اي محارب • وعندما حل النهار وملأت الشمس الارض نورا وجدت جوك ترك نفسها محاصرة من جميع الجهات • استمر الحصار مدة طويلة •• وذات يوم •• ما ان بدأت اشعة الغروب تصبغ الجو بالوان الدماء القانية حتى اخذت فلول الاعداء بالانسحاب تاركة خلفها كل ما تحمل من متاع •

اعتقدت جوك ترك ان قوة العدو تلاشت وانهم عدلوا عن الاخذ بالثأر فقرروا ان يلقنوه درسا لا ينساه اطفالهم ان بقي لهم اطفال• فرفعت الجسور على الخنادق وهب جميع المحاربين خلف الفلول الفاره •

بدأ الليل يرخي سدوله فاختفى الجيش الفار بين الجبال في الوقت الذي كانت به جوك ترك تنهب الارض خلفهم • الى ان وصلوا الى مكان حوصروا فيه •• اخذت السهام تعمل في ظهور جوك ترك وبهذا خبت نارها بعد ان تربعت على اعالي المجد فترة طويلة من الزمن • وسطا الجيش المخادع على خيام القبيلة بعد ان قتلوا جميع المحاربين وساقوا الصغار والنساء الى العبودية •

كان «الخان الاحمر» على رأس قبيلة جوك ترك وكان له نسل كثير لكنهم قتلوا جميعا في تلك الحرب الهوجاء باستثناء ابنه «كايي» الذي كان قد تزوج في ذلـــك العام • وكان له ابن عم اسمه «دوكز اوغز» وقد وقع كلاهما اسيرا • ولم يكد يمر اسبوع على اسرهما حتى اعتليا وعائلاتهما صهوة الجياد وفروا بعيدا وبهذا تخلصوا من الاسر ، وعادوا الى ارض «جوك ترك» الاصيلة وهناك وجدوا بعض الخيول والجمال والمواشي الحلوبة التي كانت قد فرت من ايدي الاعدا اثناء جمعها

مكثوا في وطنهم اياما قليلة •• وكانوا في غاية القلق لان العدو يحاصرهم من كل صوب • واخيرا قرروا ان يبحثوا عن مكان بين الجبال لا يقع في درب اي قافلة ولا حتى جياد الصيادين • فحملوا امتعتهم وبـــدأوا رحلتهم بين الجبال •• ثم وصلوا الى منطقة ليس لها مدخل سوى ذلك الطريق الجبلي الضيق الخطر لدرجة ان الجمال والخيول كانت تجد صعوبة في اجتيازه ، فلو ان حيوانا تعثر لوقع الى اسفل وتقطع اربا •

وعندما وصلوا الى اسفل الوادي وجدوا ماء عذبا متدفقا واشجارا مثمرة •• في تلك الارض المعزولة عن عيون الاعداء كون جوك ترك وطنهم الجديد واطلقوا عليه اسم ارجينيكون •

ومع مرور الزمن اخذت ارجينيكون تتكاثر من نسل الاميرين الفارين وكان للخان كايي نسل اكثر من دوقز اوغز ، مكث النسل في الوادي اربعماية عام واصبح عددهم لا يستهان به واصبحت ارجينيكون تضيق بعدد سكانها واصبح الغذاء لا يكفي حاجاتهم وقلت المياه •• فاضحوا يرون الهلاك بام اعينهم •

وذات يوم اجتمع رجال ارجينيكون وقالوا : –

«سمعنا من اجدادنا ان هناك خلف ارجينيكون بلادا معطاءة واسعة جميلة ، وانهم كانوا يسكنون هناك • هلم بنا نبحث عن مخرج من هذا الوادي الى البلاد الرحبة •• دعنا نخرج من هذه الارض نصادق من يصادقنا ونشعل اديم الحرب في صدر من يعادينا» •

اصبحت المشاورات حقيقة واخذ الشباب يبحثون عن مخرج من هذه الارض • وعلى الرغم مما بذلوا من جهود الا انهم لم يجدوا مخرجا او طريقا عبر هذه الجبال التي دخل اليها اجدادهم باعجوبة •

وذات يوم بينما كان احد الحدادين يتصيد بين الصخور رأى ذئبا يدخل الى ارجينيكون فحاول اقتناصه الا ان الذئب شعر بوجوده فهرب من نفس المكان الذي دخل منه • هذه الحادثة جعلت الحداد يفكر كثيرا في كيفية دخول الذئب الى ارض القبيلة على الرغم من ان الجبال حولها عمودية وليس هناك من مسلك عبرها •

اقترب الحداد من المكان اكثر واكثر فرأى في الجبل

(التتمة على ص ٤٤)

أحمد عبد أحمد

مدينة النوافذ البلهاء

مدينتـــــي ...
لا تنثر الورود تحت موكب النهار
تغلق الابـــواب
وتشرع النوافـذ البلهـــاء
وعندما ياتي المســـــاء
تصمت ... تستسلم كالجـــدار

مدينتي .
أسوارها الغباء والرعونة
شتاؤها صيف ،
صيفها شتـــاء
ربيعهـــا صحـــراء
خريفهـــا ..
اغنية شرقية ..
تشق درب الموت في الوجدان

مدينتي ..
تافهة قشرية الافكـــار
تثيرها حكاية صفراء
يلعق من عيونها الذباب
يفضحها مدخلها لانه ثرثار
يقول للزوار :
تفقدوا تذاكر الاياب

مدينتـــي ..
من حمقها لا تحفظ الاشعار
لا تفهم الالوان
تتهم الفنـــان
تقلب الجرائد اليومية
لكنها لا تقرأ الاخبار
وربما تطالع الصحائف الخلفيه
باحثـــة ..
عن اسم عائد الى التـــراب
عن آخر الصيحات في حناجر الازياء
لانها تقدم التعازي الحزينه
كالمقطع الخليع في قصيدة حمراء

مدينتـــي ..
تفتح لي .. في كل يوم .. محضر التحقيق
لانني وقفت في منتصف الطريق
لاسأل الذين يعبرون ..
من أين جاءوا ،
والى أين يسيرون بلا عيـــون

من ديوانه «معلقات على جدران الهزيمة» (وقد القيت في لقاء الادباء اليهود والعرب ، بمناسبة صدور العدد الخاص لمجلة «الشرق» الخاص بالادب العبري الحديث وذلـــك في «فان لير» يوم ٢٧/٨/٧٣ .

انطون شماس

بكائيات على احياء الحرب

املا الفراغ

الصق واجهتي عينيك بالاشرطة ،
واسدل وراءهما الستائر السوداء •
ابعد عن القلب كل ما لا تحتاج اليه
من آنيات حبك الزجاجية ،
وكذلك المواد السهلة الاشتعال •
سد جميع الشقوق التي يمكن للنور
ان يتسرب منها الى الخارج
ابق فقط ثقبين على جانبي الراس
لسفود صفارة الانذار •

بعدها تستطيع ان تملأ الفراغ •

الــخ ..

مساء الثلاثاء اجلس في القدس التي
تضغط باصبعها على صفارة الانذار ، كما تضغط
اصبع على زر المصباح في غرفة عاشقين ،
فينطفىء النور في النوافذ • تتلمس
طريقها في الظلام ، متنقلة
بين عشاقها الكثيرين ، تحت غطاء كثيف
من قذائف رعاية الله •

الاصابع تضغط الان على الرمال
فينطفىء النور في العينين •

اصبع تضغط على الزناد
واصبع تضغط على جرس الباب
واصبع تضغط على

الرمال

شعرات الصدر التي كانت تتخللها
انامل الحبيبة تتخللها
الان انامل الرمال

الصدر الذي كانت تتخلل
شعراته انامل الحبيبة تتخلله
الان انامل الرصاص

انامل الحبيبة التي كانت تتخلل
شعرات الصدر تتخللها
الان انامل البكاء

انامل الرمال التي كانت تتخلل
شعرات الصدر تتخللها
الان انامل الدماء

عكازة الوطن

الوطن شيخ متقاعد يجلس
على كرسيه في الحارة ، يتشمس ويكبو •
وامامه يتصارع احفاده الكثيرون
للفوز بتقبيل يده •

وحين تصطدم كبوته بصراخهم
يرفع عكازته
ويطلق عليهم النار •

المحتويات

جمركي الصحراء يرفع الرأس ويهزه
كالجراب ، لتسقط محتوياته •

يسجل في دفتره —
من الفم : لثغات الطفولة ، اناشيد مدرسية ،

عبارات الحب الاولى ، كلام عادي ،
شتائم ، وبعض الاشعار •

من الشفتين : قبل ، قانونية
وغير قانونية •

من الاذنين : دعاءات السلامة ،
عبارات مبتورة وغير مبتورة •

من الانف : حلقات من الدخان
تصل حتى ذبيحة هابيل •

للمـــوت

(١)

هون بركة الفضه
اجا العصفور يتوضى :

هذا زقطه
هذا ذبحه
هذا معطه
هذا شواه
هذا اكله •

هون رصاصة وهون رصاصة وهون رصاصة
وهون لا في كوع ولا سلة ،
هون رصاصة وهون رصاصة
وهون وقعت الطيارة •

(٢)

سطر اســـود
على الورقـــة
فوقه خنصـــر
فوقه بنصر
فوقه طويل العسكر
وعليه يضغط القلم الذي عليه
تضغط السبابة
تساندها الابهام •

والسطر التاسع

سطوح القرميد الحمراء

جسدي هذه الايام كقاعة المسافرين في المطار
تمر به الاسئلة التي ثكلت اجوبتها منذ امد بعيد
مفغورة الافواه دهشة ، كالاطفال الجياع
في الافلام التلفزيونية •

تمر به نشرات الاخبار يجرها الموجز خلفه
كطفل يجر عنزة •
وتغادره النشرات الجوية على درجاتهاالكهربائية•
تمر به حقائب حبي

عليها عشرات الاختام الزرقاء •
تمر به وجوه المحاربين
كاعمدة الكهرباء من نافذة القطار •
تمر به وجوه أحياء الامس أموات اليوم ،

تمر به وجوه أحياء اليوم أموات الغد ،
كبطاقات المعايده من البلدان الشمالية البعيدة —
وجوه تخفي تحتها احتياطي الجراح
كمايخفي الثلج في البطاقات سطوح القرميدالحمراء•

تمر به مسيرة من الافواه المفغورة تمشي على أرجل
خشبية ،
تتقدمها يد تحمل اكليلا من الزهور كتب عليه
«شمال •• يمين •• شمال» ،
تتقدمها يد تحمل مظلة جوية •

يمر به المدى يجر خلفه المدفعية البعيدة بخيط •
يمر به الله، أشعث الشعر أغبر اللحـــية ،
يعزف نشيده الوطني
على مزمار من قصبة بندقية •

القدس ، حيفا : ٩—٢١/١٠/٧٣

الهان بيرك

الطبيعة الحجرية

ترجمة : عزام جملة ـ ازمير

ماء ، طفل وعشب

صعدت البيت
في مناطقه السفلى
يتكون
ماء
وامامه ـ بشكل جنوني ـ يستعد
وينطلق صوت طفولي
ـ انا هنا
من لمعان محياه
داخل الصندوق الحجري
تركت ...
يوم
عاد
الى احضان الاعشاب

القهيرة

كنت اقبلك
وكانت الافاق طرية رقيقة كالطحالب
تقذفين بوجهها كل ما امامك .
وتمتطينها ....

وقفنا
نراقب جذع شجرة
مر طائر السنونو
والحصان !

ومرت بقاياهم
الظهيرة تضرب الاطارات المجنونة
خطر يسبح يقتات من لحمك
خطر ...
ساكن .. همست
ميت .. قلت
وقع .. واغمضت عيني !!

هذه الظهيرة احبها !!
ضحكت لنا بمقدار سمعينا .. وفقط .

الجزيرة السوداء

في اي مكان من البلد كنت اخطو ؟
اجرف الثلج
اسحب السفن الشراعية القديمة
السماء اقفلت علينا النظرات
البحر ..
رحلة الى رؤية نباتاته .
نباتات هاليكارناسوس *
رايتك
جمالك كالاسوقه العامرة
جمعتك من الطحالب
من بدايات الصيف
من البيوت
وضربتك بالشعر والشعراء
كونتك
انتحرت الاصوات القادمة من البحر
وقع اسمك عموديا على انفي
حارة جدا ..
مسالك الدماء الضيقة .
ويصيح خلف الشواطيء الرعاة :
الريح .. الريح ..
العاصفة قلبت كل شيء
وفي قصور الماء
في الجزيرة السوداء هناك
كنت ارى
خرائط .. اعماق البحر

● هاليكارناسوس : هي مدينة على الحدود اليونانية التركية واسمها حاليا بدروم .

ميشيل حداد

عن الدين والجنس والجنس البشري

مع الاديب هاشم خليل

« ثقافتي محدودة ، مجرد شهادة ب· ا· في اللغة الانكليزية والعربية من جامعة القدس · احب المطالعة الى حد الشغف . في رأيي الدراسة الجامعية عتبة لا يشعر بوجودها الا من يطؤها ولكنها ابعد ما تكون عن الثقافة بمفهومها العملي ، فالثقافة اكتساب والدراسة كسب »·

هذا ما قاله الكاتب المسرحي الاديب هاشم خليل (٣٠) في منزله في المكر ، القرية التي ولد فيها وترعرع، وهو اليوم مدرس للغة الانكليزية في عدة مدارس ثانوية. واب لطفلين سامر واريناس ·

وسألته عن توجهه الادبي :

ـ لماذا المسرحية لا القصيدة ؟

ـ انا لا اسمي هذا توجها ، وانما محبة ، لان الادب محبة وارجو ان يكون المقصود هنا ليس العاطفة وانما قبول الاشياء التي تدور من حولنا وفي اغوارنا ·· « المحبة المقبولة » كما يحلو لي ان ادعوها ، توجد في المسرح اكثر منها في الشعر ، لان الشعر يمنح القارىء عاطفة او احساسا بعد ان ينعدم الانسان . بينما المسرح يعطي القارىء انسانا او نموذجا بعد ان ينعدم الاحساس او الاحساس بالاحساس ، فلسفة ، اليس كذلك ؟ على كل حال لكي افهم هذا الرأي انا قبل كل شيء يمكن وضعه ضمن معادلة بسيطة :

المسرح = انسان + كل شيء

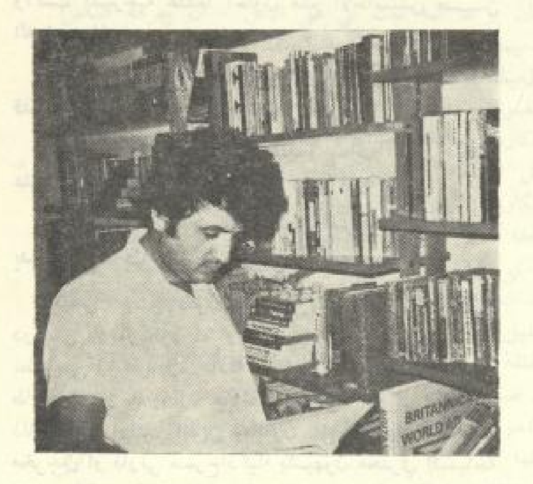
الشعر = عاطفة + كل شيء

ولكي يوضح ذلك يضيف هاشم خليل :

ـ اني احب المسرح ليل نهار ، في الحر وفي البرد ، في الهدوء والثوران . بينما احب الشعر فقط في الليل وفي الهدوء ، تماما كالموسيقى · ترى هل وضحت الامر ام عقدته ؟

ـ هذا يوصلنا الى تساؤل عن الوضوح والغموض في المسرحية ·· ما رأيك بهذا ؟

ـ اعتقد بالتأكيد ان الغموض في المسرح كالعصا المصنوعة من الورق المقوى ، الاثنان يحتفظان بالشكل والجمال ولكن الاتكاء عليها يؤدي الى انعدام الشكل والجمال ، لذلك فان الغموض نوع من الضعف وعدم الاستمرارية ، هذا النوع من الغموض مارسته اول ما بدأت كتابة المسرحية . لذلك كنت ضعيفا وسوقي كسدت ، ولكي احيل الضعف الى قوة والكساد الى رواج ، بدأت اميل الى كتابة اشياء اتوقع ان يفهمها الاخرون ، وهذا هو الادب الناجح ، ان تفهم لكي تجعل الاخرين في وضع قابل للفهم ·



ـ الا ترى غموضا في المسرحيات الغربية الخالدة ؟

ـ انها في نظري غامضة واضحة ··

ـ اذن قد تبدو المسرحية غامضة في نظر القارىء السطحي كما تبدو القصيدة في نظره غامضة ، فالامر كما ارى يحتاج الى خلفية من التركيز والتعميق والتحليل اى ان على القارىء للمسرحية او القصيدة ان يكون مثقفا ومطلعا ومحبا للشعر وللمسرح ومتقبلا للتجديد الطارىء عليهما ، وهذا يقودنا الى التساؤل عن الجديد في المسرح ··

– الجديد في المسرح قديم ، انظر الى المسرح الان ، هل تقرأ مسرحا جديدا ؟ السبب قد نفهمه جيدا لو جاء لنا ربط الصورة المسرحية بالصورة القائمة بتصميم الازياء العصرية ، انها جديدة فقط لان التي او الذي ترتديها او يرتديها عمره يتراوح بين ستة وستين سنة. هي جديدة لانها فعلا قديمة ، ادخل الى البيوت العصرية اليوم ، ماذا تجد ؟ نفس الصورة ..

– هناك من يضع المسرح ضمن مدارس مختلفة فما رايك ؟

– انا اكره حصر كتابة المسرح ضمن مدارس ثابتة لان المسرح اليوم منطلق خارج نطاق المسرح ، لذلك في رأيي لا توجد مدرسة للمسرح .

– الى جانب المسرحية قرأنا لك قصصا ، متى تكتب هذه . ومتى تكتب تلك ؟

– اكتب القصة في لحظات تفيض في نفسي الاحاسيس واكتب المسرحية عندما احاول منع الاحاسيس من الفيضان .

– من خلال دراستك للادب الغربي هل تجد انك قد تاثرت باحد كتاب المسرحية الغربيين ؟

– تأثرت بهم جميعا ، وعندما بدأت اكتب اغلقت عليهم الباب قليلا ولكن الريح كانت قوية .

– هل ترى ان بين مخرجينا المسرحيين من سيهتم بدراسة انتاجنا المسرحي واخراجه للجمهور ؟

– نحن ، اعني ادمون شحاده وسليم خوري وزكي درويش وربما اكون انا واحدا منهم ، مجرد لوحة زيتية تطفو على وجه بحيرة هادئة ، ما الفائدة من لوحة زيتية طافية على وجه بحيرة هادئة ؟ والشيء المحزن اكثر من ذلك : ان اولئك الذين يطلقون على انفسهم اسماء مخرجين او قارئي مسرح اذكياء يشبهون محترفي السباحة ثقيلي الظل والوزن معا . بدلا من حمل اللوحة الزيتية الى مكانها الطبيعي (المسرح) فهم يغرقونها بثقل ظلهم . مثل هؤلاء سيهتمون بالمسرح ، افضل ان تمشي الجنازة قبل تشريح الجثة .

– هل ترى اننا نكتب مسرحيات على مستوى لائق ؟

– نحن نكتب استمارة لم ننته من ملء الفراغ فيها بعد ، المسرح شيء ضخم ونحن مجرد اقزام ، مما تتصور هاشم خليل او ادمون شحاده او زكي درويش . نحن مجرد بائعي فستق او كوكا كولا في قاعات العرض والله قد اكتب مسرحية حول فكرة مثل مقارنة هاشم خليل بكاتب مثل توم ستوبارد . المسرحية ستكون فعلا هزلية .

– حدثنا عن كيف تكتب مسرحيتك ..

– سأتحدث عن ذلك من حيث الطريقة فقط . انا لا أتناول اوراقا وقلما لكي ابدأ بالكتابة ، ولكني اتناول انسانا وفكرة وحوارا وابدأ في محاولة للتعارف ، والتعارف طبعا يؤدي الى الالفة . والالفة تؤدي الى شبه الاتصال وشبه الاتصال يؤدي الى النقطة التي ابدأ عهدها في كتابة المسرحية ، انا اكتب فقط عندما ارتبط مع هذا الانسان بمحبة او كراهية جارفة ، وعندها تنبت الفكرة التي تتحول الى حوار والحوار هو المسرح .

– هل تقول لنا من اين تستمد مادة مسرحياتك ؟

– من موضوعين اساسيين ، اتمنى ان اكون حرا في الكتابة عنهما : الدين والجنس ، لان الارتباط بينهما شديد جدا ، فالدين مجموعة عواطف مسجونة في نفس الانسان نحو الله والجنس مجموعة عواطف مسجونة نحو الانسان . ولان الانسان والله اساس هذا الكون فان الجنس والدين سببا دماره . ولكني كلما كتبت عن الدين تكاثفت عمامات ومسوح رجال الدين وكلما كتبت عن الجنس يقولون عني : منحرف معدوم الحياء ! اليس اسمنا **الجنس البشري** ؟

– في حوارك المسرحي اقرأ لك شعرا

– وانا ايضا ..

– حدثنا قليلا عن نموذج لمسرحياتك ..

– اهم نموذج عندي هو عنصر ازعاج الاخرين لكي ارتاح انا .. ففي مسرحية «نادي المنبوذين» اتحدث عن شابين لا يشعران بالانتماء الا الى الانحراف الناضج في جسديهما .. مثل المومسات ، فالمومس منحرفة ولكنها تنتمي لانحرافها بصورة تلقائية حتى عندما تحاول احتراف الشرف فانها تبقى منتمية الى التيار الاخر ، قد ينزعج كل من يدعي عكس ذلك ، يريحني ان اقول الحق ..

وتوجهنا بسؤال اخر الى هاشم خليل حول المباشرة في العمل الادبي ، في الشعر وفي المسرحية :

– اعتقد ان الشعر اذا اكتسب عنصر المباشرة بالاضافة الى تلقائيته ازداد جمالا وقوة ، اما المسرح فانه اذا فقد عنصر المباشرة مع فقدان شاعريته كان مصيره كالمرأة التي ترتدي جسدها فوق ثوبها ..

اسحاق بار موشيه

ابو نعيمـــة

قصـــة

اكتشفنا عندما كبرنا قليلا ان اسمه كان ايليا . وكان الاكتشاف غريبا ويبعث على الابتسام معا . فقد نمونا ونحن نعرفه باسم ابو نعيمة . قالوا لنا ذات يوم ان اسمه ايليا . ولم يكن احد ليعرف ما اذا كان هذا هو الاسم الذي اطلقه عليه والده ام انه اسم دلع مشتق من اسم اخر. لم يكن للموضوع اية اهمية. الا ان استغرابنا كان مؤقتا . نسينا بسرعة اسم ايليا وظللنا اوفياء للاسم الذي عرفناه به منذ كنا صغارا . اعتقد اننا فكرنا احيانا بان من الغريب ان ينادي رجل باسم امراة . وكان في شكل «ابو نعيمة» ايضا ما يزيد في هذه الغرابة . فهو رجل قصير القامة ضئيل الجسم كبير الرأس . رأسه لم يكن يتناسب مع جسده . ولكن جبهته العالية كانت لا تتناسب مع الرأس والجسم معا . وعندما يتحدث ابو نعيمة مع احد كان يرفع ذقنه قليلافتبدوجبهته الواسعةاكثر بعداعن التناسبمع رأسه وجسده ، ويبدو وكأنه يتحدث من جبهته الواسعة . كل هذا غريب ، واغرب منه ان اسمه ابو نعيمة وان الناس تناديه باسم امراة لا يعرفها احد . كنا نناديه من قبيل المزاح باسم ايليا فلا نحصل على جواب . احيانا كانت تمضي لحظات طويلة قبل ان يلتفت للنداء. كأنه كان يستغرب الاسم مثلنا . كل الناس يتادونه باسم «ابو نعيمة» فاذا ما ناداه احد باسم ايليا كان يلتفت احيانا الى الوراء كأن النداء موجه لانسان اخر يقف وراءه . «ابو نعيمة» هو اسمه الاوحد والوحيد . وعندما كنا نقول «ابو نعيمة» كان يلتفت بسرعة . يفيق للنداء . احيانا كان يبتسم بسرور كأنه نسي نعيمة لحظة واحدة فأخذناه على غرة وذكرناه بهـــا وبواجبه في ان يتذكرها ويحتضنها في ذهنه ابدا . لم يكن الاسم كما ادركنا سريعا ، قد اتاه لانه اب لابنة اسمها نعيمة . بل ان نعيمة كانت الحبيبة التي عرفه الناس بها . حبيبة مجهولة لم يرها احد ، ولا يعرف من اي بلد جاءت ومتى كان غرامه بها وكيف انتهى او اين توقف . الناس تعرفه باسم ابو نعيمة ولا تعرف نعيمة وهو يريد ان يعرفه الجميع باسم ابو نعيمة ولا شيء غير ذلك . اتذكر انني شهدت الكثيرين يتادونه باسم ايليا فكان يسمع النداء مرارا عديدة قبل ان ينتبه الى انه هو المقصود فيلتفت باتجاه المنادي . واتذكر انه عندما كان يسمع نداء «ابونعيمة» كان جسمه يتحول الى اذن واسعة تلتقط كل شيء . احيانا كان النداء يحوله الى لبوة شرسة تدافع عن اشبالها . دائما ، كنت اراه عندما يأتيه نداء ابو نعيمة وكأنه يتحول الى قفص يحتضن نعيمة ويحميها ويدافع عنها . اسمها كان الكهرباء الذي يكهرب أوصاله ويجعله يتلفت على نعيمة هناك وعليه يجب ان يحميها من شر محتمل . كان يريد كما ثبت لي على الاقل ، ان يعرفه الناس بنعيمة . فهو ابوها وصاحبهـا وعاشقهـا وزوجهـا وزميلها وصديقها وسيدها وعبدها معا . نعيمة كانت العمود الفقري الذي يحمل جسده . كانت تشغل أفكاره واحلامه وخواطره معا . حول اسمها كان يدور كل نشاطه . حول نعيمة كانت تتركز كل فعاليات أفكاره الشاردة . كل ما يقوله ويعمله ويحيا من اجله كان نعيمة . اسمها كما يبدو لي ، كان الاسم الذي يفيق عندما يسمعه أو عندما يتادونه به . وهو كذلك الاسم الذي كان يردده كلما خلا الى نفسه في الليل أو النهار . كنا نفاجأه احيانا وهو يعمل في غرفة مغلقة ينظف الاخشاب والكراسي والكنبايات او يعمل في صبغها فاذا به يغني لنعيمة أو يتغنىباسمها وكأنها النغم الوحيد الذى يملأ جو حياته ويعبق به جو الدنيا كلها .

قال له والدي ذات يوم في نطاق مفاوضات عمل :

ـ استحلفك بنعيمة !

فأجاب للحال :

ـ كل شيء الا نعيمة . لا أحلف باسمها .

ـ لماذا ؟ اتراك تخشى ان تحلف باسمها كذبا ؟

ـ ابدا . اسمها فوق الايمان . انها فوق الكذب والصدق . لا تستحلفني باسمها .

ابتسم والدي وقال :

ـ ايليا . عليك اذن ان تقبل بشروطي .

فذهل ابو نعيمة لحظة ثم قال :

ـ من هو ايليا ؟ اعندك صباغ اخر ؟ طيب هاته وليعمل لك ما تريد .

ـ بل اقصدك انت . ابو نعيمة .

ـ انا طبعا .

قال ذلك ثم ذهل كمن اعترته نوبة . وصمت لحظات . قال والدي :

ـ انتهينا ؟ اتريد ان استحلفك بنعيمة مرة اخرى ؟

ـ كلا . كلا . انتهينا .

وظل ابو نعيمة يدمدم كل نهاره . قال لي وكانه يستأنف الحديث مع والدي الذي غادر المنزل :

ـ والله لو لم يذكر اسم نعيمة ! كل الشغل خسارة ثم ادار وجهه عني وغرق في غيبوبة صاحية وهو يتطلع الى نور الشمس الوهاج عبر الشباك . مضت دقائق طويلة . ثم رأيت دمعتين تنحدران على صفحة وجهه . طبعا نسي وجودي . كان يعيش في تلك اللحظة وحدة قاسية رغم انفاسي المترددة في الغرفة . وتحجرت الدمعتان وظلت عيناه مثبتتان في انوار الشمس اللاعبة عبر الشباك . كنت صبيا في الثامنة . وكانت تلك اول مرة ارى فيها رجلا يبكي . ثم توسعت الدمعتان المتحجرتان على صفحة خده وانفجرت احداهما فنزلت حتى قميصه . كان الرجل يشهق بسكون كانه يريد الا يسمعه احد . ومضت دقائق اخرى طويلة ثم عاد جسمه الى الحركة ورفع يده الى وجهه يمسح بها دموعه ودار على عقبيه دون ان يراني ومضى الى عمله .

تركت الغرفة ملتاعا وذهبت الى الخادمة وكانت تشتغل في المطبخ وتعد بعض طعام الظهيرة . قلت لها :

ـ من هي نعيمة ؟

ـ نعيمة ؟ لا اعرف ؟ أعرف «ابو نعيمة»

ـ هذا ليس اسم الرجل .

ـ ولكنهم يسمونه ابو نعيمة . هذا هو اسمه .

ـ كلا . نعيمة التصقت باسمه فاصبح ابو نعيمة . سمعت والدي يتحدث عنها .

ـ اذهبي واسألي ابو نعيمة .

ـ لا يهمني امره . اسأله انت .

ـ لا اريد ان اسأله . كان يبكي .

ـ يبكي ؟ لماذا ؟

ـ والدي حلفه باسم نعيمة . وعندما ذهب والدي توجه نحو الشباك واخذ يبكي . هل ماتت نعيمة ؟

ـ لا اعرف شيئا . اسال والدتك .

ـ وبما لا تعرف هي ايضا .

ـ انا اعرفه لانه صباغ يأتي للعمل عندكم احيانا . لم اسمع عن نعيمة ولا اعرف من هي . ماذا يهمك من امرها ؟ انت ولد فضولي .

ـ لماذا كان يبكي ؟

ـ لا اعرف .

وعندما وصلت والدتي سالتها لدى انفرادي بها :

ـ من هي نعيمة ؟

ضحكت والدتي وقالت :

ـ هل انهى ابو نعيمة عمله ؟ هل ازعجته اثناء العمل ؟

ـ كلا . ولكن لماذا يسمونه ابو نعيمة ؟ من هي نعيمة ؟

ـ نعيمة هي امرأة . ويسمونه ابو نعيمة لعلاقته بها . ولكنها امرأة كان يعرفها منذ زمن . ليست له علاقة بها الان .

ـ لماذا يسمونه ابو نعيمة ؟ كل رجل له علاقة بامرأة يسمونه أبوها ؟

ـ كلا . ولكنه جن بها . لا اريد ان تطيل الكلام في هذا . يسمونه ابو نعيمة والسلام . ايهمك امره ؟ انه كما يظهر يريد ان يعرف بها ويريد ان يناديه الناس باسمها .

ـ ماما . ابو نعيمة اسمه ايليا . انا متاكد من ذلك ولكنه لا يريد ان نسميه ايليا . رايته اليوم وهو يبكي .

ففتحت والدتي عينيها دهشة ثم قالت :

ـ يبكي ؟ لماذا ؟ هل اغضبته ؟

ـ ابدا . ولكن بابا استحلفه باسم نعيمة فلم يغضب ابدا ولكن عندما غادر الدار اخذ ابو نعيمة يبكي .

بدا على والدتي انها متعجبة ومتالمة معا . ولما لم تحر جوابا ضمتني الى صدرها وقالت :

ـ لا تهتم للامر . انه شخص عاطفي . الظاهر ان اسم نعيمة يحرك وجدانه فيبكي . سوف تكبر وتفهم هذه الامور جميعها . انه شخص طيب ومسكين .

كان ابو نعيمة يأتي قبل الاعياد الى دارنا والى دار عمي ودار عمتي . كنا جميعا نعيش في حي واحد . ابو نعيمة كان صباغا قليل التكاليف ومهمته انيجعل كل اثاث الدار لامعة بمناسبة الاعياد . كان يتولى الاثاث والكراسي والكنبايات المريحة التي كنا نلعب فوقها ونرقص ونقفز عليها فلا يتركها الا وهي تبتسم

معنا لمقدم العيد . كنا نحب ابو نعيمة ونعتبر وجوده في الدار بشيرا بالاعياد والعطل والملابس الجديدة والنزهات والزيارات التي نتبادلها مع امثالنا . واكثر من ذلك كان ابو نعيمة يقوم باعماله في دورنا على اجزاء ، فهو يهيء بعض الاثاث للصبغ في الصباح ثم يذهب الى دار عمتي او دار عمي ويعود ليكمل ما يكون قد بدأ في الفجر . ابو نعيمة كان ينسج رباطا قويا بين عائلاتنا . فهو يذهب ببعض الاطفال من هذه الدار الى تلك ويعود بهم عندما يذهب لمواصلة العمل في الدار الثانية . كانت النساء تتنافس على اطعامه والعناية به . فهو يصير في تلك الايام واحدا من ابناء الدار او ابن دورنا الثلاثة كلها قبل ايام العيد . وفي ايام العيد كان يزورنا مع الزائرين ويقوم بتهنئتنا بالعيد . وكنا نلاحظ الكبار وهم يمزحون معه ويسألونه عن نعيمة او يطلبون اليه اعادة بعض ذكرياته عنها . ولاحظت مرة ان والدي دس في يده مبلغا من المال قبل مغادرته الدار فاخذه ابو نعيمة شاكرا وهو يداري حرجه . فهو قد جاء للمعايدة وهو يخشى ان يكون الصغار قد لاحظوا انه تسلم هدية مالية فادركوا انه فقير طوال العام وانه يأخذ بالاضافة الى ما يستحقه عن اعماله ، هدايا مالية كالفقراء .

ولست اذكر في اي سنة حدث ما حدث ولا قبل اي عيد . بل اذكر انني كنت اذاكر مع اخوتي الى ساعة متأخرة من المساء وانني خرجت الى غرفة الاستقبال فوجدت والدي وعمي وزوج عمتي يتعاملون مع ابو نعيمة بشأن صبغ الاثاث كله قبل العيد . كان ابو نعيمة يحسب قطع الاثاث لكل واحد منهم ثم يتحدث عن المعدات التي يجب ان يجلبها وكمية الصبغ وورق الزجاج والوقت الذي سينفقه ثم يطلب مبلغا معينا فيقول له عمي :

ـ ولكن في السنة الماضية دفعنا لك كذا ليرة .

ـ في السنة الماضية كانت الدنيا ارخص تكاليفا . هذه السنة ارتفعت الاسعار كثيرا .

ـ انت تطلب اكثر بكثير مما تبرره الاسعار .

ـ تسلم لي عيونك . والعيشة لم ترتفع ؟ الخبز لم يرتفع سعره ؟ كيف اعيش انا ؟

ـ ابو نعيمة . انت تعيش معنا في الاسابيع التي تسبق العيد . ولا يجب ان تصرف قرشا واحدا .

ـ انا اعمل ايام الاعياد فقط . اغلب ايام السنة لا عمل كبير لدي ويجب ان اعيش .

ـ وحق نعيمة السعر الذي تدفعه كافيا .

فصمت ابو نعيمة ، وغشيت وجهه سحابة من الالم . ثم قال :

ـ لا تقحموا نعيمة في الموضوع . السعر غير كاف .

ـ السعر كاف . وحق نعيمة .

فزمجر ابو نعيمة واخذ يدير وجهه في حيرة هنا وهناك ثم صمت فجاة . قال والدي :

ـ تأتي غدا كالمعتاد . والبيوت متجاورة . تستطيع ان تشتغل عند الجميع مرة واحدة .

ـ ....

ـ ابو نعيمة . ما ذا تقول ؟

ـ ساتي . ساتي .

قال زوج عمتي لعمي :

ـ ما كان يجب ان تستحلفه بنعيمة . انه رجل طيب . يعرف حدود المعقول . وهو لا يحب ان تذكر نعيمة هكذا امامه .

ـ كنت امزح معه فقط .

ـ انه لا يحب هذا المزاح

فتدخل والدي قائلا :

ـ ابو نعيمة . الا تحب ان يذكرك الناس بنعيمة ؟

ـ نعيمة ؟ مالها ؟ انني اتذكرها دائما . ولا يهمني ان يذكرني الناس بها . فقط انها لا دخل لها في موضوع الشغل .

ـ كيف نتغلب عليك اذن ؟ انت شخص عنيد . عندما نقول لك «نعيمة» تلين .

ـ نعيمة فوق هذه الامور . ما دخلها في شغلي في بيوتكم ؟ بالله عليكم ؟

ـ لا بأس «ابو نعيمة» ـ هل انت تحبها حتى الان ؟

ـ احبها ؟ بل اكثر من ذلك . انني مستعد للذهاب حتى الموت اذا هي امرتني بذلك .

ـ كيف تأمرك وهي بعيدة عنك ولا صلة لها بك ؟

ـ قلت «اذا» . اذا امرتني مت من اجل تنفيذ امرها وانا مسرور .

ـ ابو نعيمة . انت مجنون .

ـ انا عاقل وحق السماء . انا عاقل جدا . العاقل هو الذي يحب بكل قلبه .

– ولكن نعيمة تزوجت وهي في عصمة رجل اخر .

– ...

– نعيمة هي ذكرى لديك فقط .

– ذكرى ؟ انها تعيش في كياني ولا تفارقني ثانية واحدة في نهاري او ليلي . نعيمة لم تفارقني ابدا . ولا اهمية لزواجها من اخر .

لاحظ الكبار انني واخوتي كنا نصغي باهتمام فطلبوا الينا الخروج . عاندنا وكابرنا ثم خرجنا . اغلق الكبار باب الغرفة لكي يواصلوا الحديث مع ابو نعيمة. ولكن الباب كان مفتوحا بعض الشيء . تسللنا نحو الباب الموارب واسترقنا السمع . كانوا يوجهون اليه الاسئلة بسرعة وقسوة ونحن نسمع ونحاول ان نعرف من هو صاحب السؤال دون نجاح . اصواتهم كانت ممتزجة :

– ايها اللعين . نعيمة متزوجة ولها اولاد . انت الذي قلت لنا ذلك . كيف تقول الا اهمية لذلك لديك ؟

– عندي امل .

– اكنت تريدها ان تنطلق من زوجها وتاتي اليك ؟

– كلا . الطلاق حرام .

– ماذا اذن ؟

– ....

– قل . تحدث . اكنت تريد ان تاتي اليك بالحرام ؟

– انها ملاك من السماء . وهذا غير ممكن .

– كيف اذن ؟

– هناك اوامر السماء .

– ماذا تعني ؟

– قد يموت زوجها في يوم من الايام .

– فتتزوجها وهي ارملة ولها عدة اولاد ؟

– لم لا ؟ افي ذلك عيب ؟ انني احبها . احببتها دائما . وساحبها الى ان اموت سواء تزوجتها وعشت بقربها ام لم اتزوجها .

– ولم لم تتزوجها وانت شابا يافعا ؟

– لم اكن صاحب صنعة . اهلها رفضوني . قالوا ان ابنتهم لا يمكن ان تتزوج صباغا لا صنعة محترمة له ولا عملا ثابتا .

– وظللت تحفظ عهدها ؟ لماذا لم تتزوج اخرى ؟

– حاشا الله .

– وانت تحفظ عهدها حتى اليوم ؟

– بكل طاقات روحي . لن يحولني عنها شيء .

في ذات يوم تسللت الى الغرفة التي خصصناها لكي ينقل اليها ابو نعيمة الاثاث ويصبغها .

وقفت عند عتبة الغرفة وانا انتصت فلم اسمع شيئا . ثم انتقلت الى فتحة الباب المغلق الى نصفه فلم اجد اثرا له . دخلت الغرفة مسترقا الخطى ثم التفت فرجدت «ابو نعيمة» قابعا في اقصى الغرفة من الجانب الذي يحجبه الباب وظهره الى الحائط وعلى وجهه ابتسامة غامضة . كانت عيناه تحدقان في سقف الغرفة وشفتاه تنفرجان عن تمتمة غير مسموعة . لم يبدر منه ما يدل على انه سمع خطواتي او احس بوجودي . اما انا فقد كنت مشدوها بما ارى . احسست انني اعتدي على حرمة الصمت الذي سادالغرفة وانني كنت اتلصص، بصريح العبارة ، على عالم «ابو نعيمة» الخاص ، ولكنني لم ابال . اما ابو نعيمة فكان متوتر الجسم مشدود الاعصاب . ولو انني ملات الغرفة ضجيجا في تلك اللحظة لكان من الممكن جدا الا يسمعني . كان ابو نعيمة كمن يخاطب ارواحا مجهولة ويردد بكل طاقاته كلماته الخافتة . ولم اعرف سبب قلة الادب التي ركبتني في تلك اللحظة فقد اقتربت خطوات اخرى هادئة نحو ابو نعيمة وهو لا يرى ولا يسمع ، وقررت ان استمع الى حديث روحه . كنت كمن يدبر مقلبا لرجل يصلي فيحاول دفعه واسقاطه على الارض ولكنني لم أأبه لما قمت به . اردت ان ارى ابو نعيمة وهو يختلي بنفسهويحادث خياله . كانت قصته مع نعيمة وقد ادركت اجزاء منها ، تملأ خيالي . وكنت في اتم الشوق لكي استمع اليه وهو يحاور ذاته ويقول عن نعيمة اكثر مما قاله لوالدي وعمي وزوج عمتي . لم اكن اشك لحظة في ان ابو نعيمة يتحادث في صميم وحدته مع شخص سوى نعيمة او مشغولا باي أمر من الامور سوى نعيمة .

تصرفت كالاحمق . او قل كالجني الذي لا يراه احد . اقتربت من ابو نعيمة بدون خوف وبدون رحمة وبدون حياء حتى اصبحت اسمع تمتمته . في بادىء الامر شككت قليلا في انه يتحدث ولكن بعد لحظات ادركت انه كان يتحدث . واي حديث . كان صوته قويا معبرا في خفوته . انغام صوته كانت تصدر عن اوتار حساسة جدا ولكنها واطئة وشديدة الاثر . وشيئا فشيئا احسست بالخجل ولكنني تغلبت على خجلي . كنت كمن يتلصص على اخته وهي في الحمام او كمن يختلس النظر الى عاشقين يحسبان الدنيا جميعها

لا تراهما • لم افهم كل الجمل التي سمعتها في اول الامر الا انني اندمجت في نغمة صوته الخافت اولا ثم بدأت اتميز كلماته الناعمة المؤثرة القوية • وفي اثناء تلصصي واستماعي التفت الى يدي «ابو نعيمة» فوجدت اثار الصبغ على كفه اليسرى ثم وجدت في يده اليمنى قطعة القماش المكورة التي كان يغمسها في الصبغ ويمر بها على الاثاث • يداه كانتا تتحركان مع كلماته • لم ينقطع ابو نعيمة فيما يتصور عن العمل في صبغ الاثاث وهو يتحدث • كان في الامر بعض الفكاهة ربما الا ان صوته قذف بي نحو سقف الغرفة فاختنقت ابتسامتي التي لم استطع مغالبتها وانا ارى يده الممسكة بقطعة القماش المكورة ، وهو يصبغ ويتحدث • اي كلمات قالها ؟ لست ادري في اي نقطة التقطت كلماته • ولكنني عندما التقطتها كنت اسير معه في تيار حديثه وكانني اسبح معه في لجة احلامه او كانني مرتبط به بشكل لا فكاك منه :

«انت بلا شك مظلومة مثلي ومسكينة • اعرف انك احببتني كما احببتك • اهلك فقط • اه لماذا لم اكن تاجرا او صاحب دكان ؟ زوجوك به رغم ارادتك • ما من شك في ذلك • اه من هذا المنظر • انه رجل غريب عنك • مهما فعل بك لن يسمونه ابو نعيمة • انا وحدي ابو نعيمة لانني انا وحدي من احبك ويحبك • احبك وانت في احضانه • احبك حتى وانا ارى جسدك الجميل البض بين ذراعيه • نعيمة • السنت على حق ؟ فليقبلك • ليتذوق هذا الشهد الذي يعطيه فمك وهو راغم ، لفمه • فانا وحدي الذي يعرف سر ما في فمك حتى اذا كان هو المتذوق المحظوظ • اهلك لم يوافقوا على زواجي منك • سخروا مني ولكنهم عاملونـــي باحترام وقالوا لي بشدة ولطافة وصراحة معا : فتش عن غيرها • انها ليست لائقة بك • قتلوني ببرودة دم• طبعا ارادوا ان يقولوا لي انني لست لائقا بك • انهم على حق • اانا اليق بك ؟ كيف ؟ انني احبك • ولهذا فلست اليق بك • انني اعبدك • وهل يحق للعبد ان يتزوج معبودته ؟ انهم على حق • انا الذي لم اكن على حق • كنت على حق في شيء واحد وهو انني لم اكن استطيع الا ان احبك وان اعبدك • هكذا خلقني الله • هكذا صنعني : صباغا تافها لا عمل ثابت له ولكن له الهة • كل هذا من فضله فقط • الهة • يا نعيمة • ماذا يستطيع العابد ان يصنع للمعبود ؟ كنت ارجو ان يمكنني الله ان احبك فقط وان استطيع في يوم من الايام ان اركع امامك على الارض وانت لا تشعرين بي فاقبل قدمك اليسرى وقدمك اليمنى والصق شفتي بكل اصبع من اصابعهما • كنت امل ان تشعرين بذلك يوما ما فتأمريني بالوقوف • ثم تطلبين مني شيئا• ان اركض الى السوق لشراء حاجة لك • ان اصبغ لك طاولة وبضع كراس • كنت احلم ان تسددين الي نظرات عينيك مرة واحدة خلال عمري كله لكي اقول لنفسي دائما : هذه النظرة خصصتها لي • هذهالنظرة سددتها الي فقط ورغبت في ان التقطها انا فقط • نعيمة • كيف انت مع رجل غريب ؟ كيف انت بدون الرجل الوحيد الذي احبك والوحيد الذي يمكن ان يحبك ايها الاله الذي في السموات • ماذا استطيع ان اطلب اليك ؟ ان تعيد دولاب الامور الى الوراء ؟ هل هذا ممكن ؟ اريد ان اطلب اليك شيئا والاعياد على الابواب• ان تكون نعيمة سعيدة الحال مرتاحة الى اولادهاوزوجها وان يكون بيتها عامرا ومليئا بكل ما تشتهيه نفسها وتفوس ابنائها • نعيمة جوهرة البنات • نعيمة احلى ملاك • نعيمة • يا الهي • كيف اعيش بدونها ؟ ايها الاله الجبار : لماذا تمارس جبروتك معي فقط ؟ لماذا يجب ان يكون اعظم عاشق اكبر شقي على وجه الارض ؟ ماذا كان اثمي ؟ الم تكن ارادتك ان اكون انا عاشق نعيمة الوحيد وان تكون هي معبودتـــي الوحيدة ؟ فلماذا اذن جعلت مني صباغا لا يليق بمعبودة كهذه ؟»

خيل الي في تلك اللحظة ان «ابو نعيمة» ادار وجهه قليلا ، قليلا جدا في اتجاهي • تملكني خوف قاس • وشعرت في لحظة واحدة انني لص سيء السلوك وانني في حضرة رجل يحادث ربه وهو يظن انه ليس هناك من يسمعه في حين كنت اتلصص عليه • تراجعت وانا مسمر البصر اليه بنفس الطريقة التي استرقت فيها الخطى اليه • لم يسمعني ، بالتأكيد • وعندما كنت عند مدخل الغرفة ، كنت اواصل التقاط اخر كلماته :

«كلهم يستحلفونني باسمك • كلهم يستغلون اسمك ليستغفلوني • ولكن اسمك يفتح لهم الابواب ••»

كنت اخرج من باب الغرفة وانا استمع الى اخر هذه الهمسات •

ظللت اياما عديدة وانا فريسة الخجل لما قمت به • لم احادث احدا عن الموضوع ولم المح لاي من الاقارب عما سمعت ورأيت في غرفة عمل «ابو نعيمة» وفي ذات مساء بينما كان ابو نعيمة ينهي عمل يومه ويخرج من غرفته التف حوله اخوتي واولاد عمي وعمتي وهم يرددون بنغمة واحدة متصاعدة :

ــ ابو نعيمة • ابو نعيمة • ابو نعيمة • اين نعيمة ؟

حاول ابو نعيمة التخلص منهم بابتسامة لبقةمسكينة الا ان الاولاد لم يتركوه وشانه ٠ وحانت منه التفاتة الي فلاحظ انني لم اشاركهم الفتنة ٠ تقدم مني وقال :

ـ هل تعاونني غدا في نقل الكراسي من الطابق العلوي للعمل ؟

ـ بكل سرور ٠ هل تريد ان انقلها لك قبل ان تاتي ؟

ـ كلا ٠ لا حاجة لذلك ٠ سنتعاون ٠ قل لوالدك ان ابو نعيمة انتهى اليوم من قطع الاثاث الكبيرة ٠

ـ قل لي هل صحيح ان اسمك ايليا وليس ابو نعيمة ؟

ـ اسمي ابو نعيمة ٠ كل الناس ينادونني هكذا ٠ وانا متعود ان ينادونني هكذا ٠

ـ اكنت تريد ان ينادونك ايليا ام ابو نعيمة ؟

ـ ابو نعيمة ٠

تملكني العجب ولكنني قلت لنفسي انه غريب بعض الشيء كما يقولون ٠ وخف عني شعور الاثم الذي اصابني وانا ادخل متلصصا الى عالمه السري فقد ثبت لدى انه هو نفسه لم يكن ليعارض في دخولي عالمه الخاص ٠ هو نفسه يريد ان يكون ابو نعيمة فحسب ٠

ولست اتذكر الان متى انقطع ابو نعيمة عنا او انقطعنا نحن عنه ٠ كما لست اتذكر هل نحن الذين انتقلنا الى بلد اخر ام هو ٠ كل ما اذكره ان الحديث عنه كان يتردد في بيتنا احيانا لدقائق عديدة ، وان الكبار كانوا يعتبرونه نصف مجنون او رجلا لا منطق له وحياته تدور حول وهم كبير اغلبه من صنع يديه ٠ اما انا فقد شعرت انني عرفت عن الرجل ما لم يعرفه غيري وانني كلما كبرت ادركت اكثر ان الصلة التي تربط الرجل بنعيمة او تربط اي رجل باي نعيمة هي ليست من الامور التي يمكن شرحها للكثير من الناس بسهولة ٠ وقد نما لدى الاعتقاد بان الرجل استطاع ان يقيم عالمه بنفسه وان يحتفظ به في وجه الدنيا كلها ٠ وان عالمه هذا المكون من كل ما يتعلق بنعيمة فقط هو الذي كان يقيم اوده ويمنحه العظام التي تجعل جسمه يقوى على الوقوف ٠ وما زال كل حديث عن عاشق او عن قصة حب تعيدني بسرعة البرق الى الغرفة التي كان يعمل فيها ابو نعيمة ، حيث كان ينقطع فجاة عن العمل لينصرف الى العبادة والتعبد لنعيمة ٠

الملحمة في الادب التركي - تتمة

فتحة ضيقة جدا محاطة بصخور مدببة ٠٠ ولمس الحداد الصخور التي في فوهة الفتحة فوجد انها صخور معدنية فلمعت امام عينيه فكرة طار بها الى رجال القبيلة واخبرهم بما شاهد وفكر ، قال الحداد : ـ

«طالما استطاع الذئب الدخول والخروج من هنا فانه باستطاعتنا ان نخرج وندخل بنفس الطريقة ومن نفس المكان !

في تلك الفتحة يوجد معدن يشبه معدن السيوف ومن الممكن ان نجد طريقا من هذه الفتحة ان نحن اذبنا ذلك المعدن !»

سمع رجال القبيلة الخبر فهبوا كالبرق الى الجبل المشار اليه والى الفتحة التي تحدث عنها الحداد واخذوا يجمعون الحطب والجلود من كل صوب الى ان غطوا المكان ٠ ثم اعدوا اسبعين مشعلا وضعوها في سبعين مكانا ٠ واخذوا يقذفون بالحطب الى داخل الفتحة ٠٠ استمر عملهم عدة ايام ٠٠ ثم احتدت النيران واذابت المعدن فحصلوا على ممر عبر الجبل الى الخارج ٠٠ كان الممر واسعا حتى انه يتسع لجمل مكتمل الحمل ٠

وهكذا في تلك السنة المقدسة في ذلك الشهر المقدس في تلك الساعة المقدسة خرج «جوك ترك» من ارجينيكون بعد ان ارشدهم الذئب الى الطريق المؤدية الى وطنهم ٠

كان يوم الخروج من ارجينيكون يوما مقدسا لقبيلة جوك ترك وكانت الطقوس الدينية والافراح تقام في كل عام ابتهاجا بالخروج والعودة ٠ ومن اهم الطقوس واجلها ان يقوم الخاقان الاعظم باخذ قطعة من الحديد بواسطة ملقط ويضعها على النار حتى تحمر ثم يطرقها على السندان ٠ وبعد الخاقان ياتي السادة ثم تنتقل قطعة الحديد على الرجال ٠

بعد خروج جوك ترك من ارجينيكون اخذ الخاقان الاعظم بورتيجينا وهو من احفاد الخان كايي يرسل رسله الى كل القبائل يخبرهم ان جوك ترك قد خرجت من ارجينيكون ٠ فاما الولاء والطاعة واما الحرب ٠٠

وهكذا عادت القبائل والدويلات الصغيرة الى حظيرة الطاعة للخاقان الاعظم وعادت اسيا الصغرى من كوره حتى البحر الاسود تحت سيطرة جوك ترك ٠

ان الاتراك الذين مكثوا اربعماية عام في ارجينيكون عادوا كما كانوا في السابق من اعظم الدول ٠

نير شوحيط

عصور الادب العبري

يختلف تاريخ الادب العبري في عصوره عن تاريخ مختلف الاداب في العالم فتاريخ الادب الانكليزي مثلا يقسم تبعا لفترات التاريخ التي مرت على الشعب الانكليزي في الجزر البريطانية فالاختلاف هو اختلاف زمني فقط ٠ وتاريخ الادب العربي يقسم تبعا لفترات التاريخ ايضا بما في ذلك الاقطار العربية المختلفة التي تكون عالما ادبيا واحدا ، فالاختلاف هنا هو اختلاف زمني ايضا في مناطق جغرافية باقية ٠

اما الادب العبري فليست عصوره مقسمة حسب الاحداث التاريخية فحسب بل حسب اختلاف الاقطار التي تشتت فيها في التاريخ ٠ فالاختلاف هنا تاريخي وجغرافي على السواء ، لان الشعب اليهودى نفسه يختلف في نوعية تاريخه العام عن جميع شعوب العالم٠ فشعوب العالم تكتب تاريخها في اوطانها اما الشعب اليهودى فكتب تاريخه وهو يعيش نحو تسعة عشر قرنا حياة مؤقتة في شتى اقطار العالم ، ولذا فان التاريخ اليهودى قام على اساس جغرافي غريب ومؤقت وبالاستناد الى هذا التاريخ العام سجل الادب العبري الذى انبثق في هذه الظروف غير الطبيعية حيث يتطلع في جميع هذه العصور بعينه الحالمة الى الوطن المقدس الذى يأمل بالعودة اليه ٠

وبسبب تشتت هذا الشعب في عشرات المهاجر فان تاريخ ادبه لا يمكن ان يتقسم الى اقسام متدرجة تدريجا كرونولوجيا بينا ٠ فهنالك عصور اساسية وهنالك عصور ثانوية وهنالك عصور متداخلة في عصور غيرها ٠

فتاريخ الادب العبري اذن ليس فترات متسلسلة ، فترة تلو الفترة ، بل فترات متشابكة تبعا للتاريخ وتبعا للمكان الجغرافي ، مثل ذلك ـ ولو بصورة مصغرة ـ كمثل الادب العربي في المهجر الامريكي يأتلف مع تاريخ الادب العربي في تسلسله التاريخي ويختلف في قاعدته الجغرافية ٠

ولهذا فان تاريخ الادب العبري هو تاريخ على اسس زمانية ومكانية مختلفة ٠

ولنحاول الان تقديم ما يمكن تسميته « خريطة » لتاريخ الادب العبري :

فترة الكتاب المقدس :

هي فجر التاريخ العبري وفجر ادبه ، وهي الفترة الوحيدة التي يمكن ان نسميها فترة طبيعية ، ذلك لان الشعب الاسرائيلي كان في هذه الفترة في وطنه ٠ فهو كسائر الشعوب لم يصب حينئذ بنكبة الخراب ولم يوصم بالشعب الغريب المشتت ، فقد دامت تلك الفترة نحو الف عام انتهت في خراب بيت المقدس الاول ٠

يضم الكتاب المقدس في مجلد واحد اربعة وعشرين سفرا مختلفا ٠ نذكر منها خمسة اسفار التوراة وهي اسس الدين واسس الشرع ، واسفار الانبياء الاولين وهي وثائق تاريخية واسفار الانبياء الاخيرين وهي ادب رفيع في موضوعات شتى : حذر من مغبة الخطايا وحذر من الخراب قبل حدوثه ٠ وكذلك اسس ادب السلوى والوعد بمجيء المنقذ الموعود في اواخر الايام ٠ وهنالك اسفار « المكتوبات » وفيها قمة الانتاج الفني من ادب الحكم كامثال سليمان وايوب والجامعة ، وشعر التعبد والمديح كالمزامير والشعر الغزلي كنشيد الانشاد ، وشعر الرثاء كالمراثي ، والقصص التي وصلت درجة فنية سامية كاستير وراعوث ٠

ان الكتاب المقدس هو الاساس الذي بني عليه الادب العبري في جميع عصوره التالية ٠ وهنالك فترة ثانوية متداخلة في فترة الكتاب المقدس هي **فترة الكتب الخارجية (او الكتب المكتنزة)** ٠ وهي لا تختلف كثيرا عن فترة الكتاب المقدس في المكان او في الزمان ٠ والفرق الوحيد هو في عزل هذه الكتب عن اسفار الكتاب المقدس التى اعتبرت اكثر قدسية منها ٠ فقد كتب قسم من هذه الكتب باللغة العبرية والقسم الاخر باليونانية ٠ نذكر من هذه الكتب «رسالة ارميا» ، «دعاء منشه» ، «كتاب يهوديت» ، «كتاب طوبيا» ، «كتاب المكابين» ، «حكمة سليمان» ، «حكمة ابن سيراخ» ، «مزامير سليمان» ، «وصايا الاثني عشر سبطا» وغيرها ٠

فترة اخرى في فترات الادب العبري هي **فترة التلمود:**

وهي فترة دامت نحو خمسة قرون انتهت في سنة خمسمائة قبل الميلاد وعاصرت فترة بيت المقدس الثاني. والتلمود يختلف في تكوينه عن الكتاب المقدس فهو لم يجمع في مجلد واحد بل في مجلدات عديدة وهو يقسم الى كتب والى اجزاء والى فصول واصحاحات • فالكتاب الاساسي من التلمود هو المشنه ومعناه (الدرس) وقد كتب باللغة العبرية في الارض المقدسة وهو مقسم الى ستة اجزاء رئيسية تحتوى على اسس شرعية تستند على الكتاب المقدس وعلى اساطير في نفس المواضيع • وفي فترة متأخرة كتب حكماء اليهود في بابل اغلبية التلمود وتكملته • فقد كتبوا القسم الذى يسمى « كمارا » اى (التعلم) باللغة السريانية (الارامية) وبالاستناد الى كتاب المشنة الانف الذكر • وعندما جمعت هذه المؤلفات سوية دعيت بالتلمود البابلي او التلمود الكبير ويبلغ في حجمه نحو ثلاثة اضعاف التلمود الاورشليمي الذى كتب باللغة الارامية ايضا وحرر في مدينة طبريا•

بعد اختتام التلمود جاء عصر العباقرة (هاغؤونيم) الذى استمر اربعمائة عام حتى سنة الف للميلاد • وهي فترة جدال علمي شرعي اضافت الى التلمود من تاليفها وتعاريفها وفي هذه الفترة جمعت الصلوات اليهودية من مصحف واحد وكذلك كتبت تسابيح دينية باسلوب كنسي خاص •

بعد ذلك جاءت الفترة التي دعيت بالعصر الذهبي ، ونعني به نفس العصر الذهبي الذى ازدهر به العرب في الاندلس وقد استمر نحو خمسمائة سنة كانت نهايتها طرد اليهود من الاندلس • وقد ألف اليهود في هذا العصر باللغة العبرية والعربية مؤلفات شتى • فقد كتبوا الشعر بالاوزان العربية وبالمواضيع التي اشتهر بها الشعر العربي • ولاول مرة كتب شعراء اليهود اشعارا في مواضيع دنيوية كالغزل والهجاء والحماسة وغيرها كذلك كتبت المقامات وكتب النقد والنحو والفلسفة •

بعد طرد اليهود من الاندلس اتجهت الروحية اليهودية الظامئة للتحرر والخلاص من عبودية المهجر اتجاها لاهوتيا فظهرت حركة التصوف المعروفة باسم « كابالا » اى الاستلام ، وهي حركة فلسفية متقشفة ، تفسر اسرار الدين تفسيرا ميتافيزيكيا وتعمل للاتصال الروحي بالعوالم العليا للاعتلاء على امور الحياة الدنيا والبحث عن الوسائل التي تقرب اوان التحرر القومي والخلاص • وقد ظهرت هذه الحركة في الجليل وخصوصا في مدينة صفد •

وفي هذه الاونة — اى بعد الخروج من الاندلس — ظهر في اوروبا علماء كثيرون منهم مفسرو الكتب المقدسة ومنهم شعراء الدين ومنهم مؤلفو الشرائع والوصايا • فظهرت حركة دينية شعبية تدعى **حركة الحسيديم** وهي حركة التقوى والورع التي تدعو الى الدراسة والعبادة بفرح وامل كما تدعو الى الاسس الاخلاقية ومحبة الانسان وقد اشتهرت هذه الحركة بقصصها الشعبية وبفن الغناء والرقص . وقد انتشرت في اوروبا الوسطى والشرقية وكان مركزها في بولنده •

بعد هذه العصور المختلفة في اتجاهاتها وفي مراكزها ظهرت النهضة الحضارية في اوروبا المعروفة بالرينيسانس فقد ظهرت في اوروبا في منتصف القرن الرابع عشر ، الا ان تاثيرها على المجتمع اليهودى في اوروبا ابتدأ في منتصف القرن الثامن عشر ، ذلك لان اليهود قبعوا طوال السنين في عقر كنسهم ومدارسهم الدينية ، وكان عالمهم الروحي عالما يهوديا داخليا لا علاقة له بالعالم المسيحي الخارجي ، فلما خرج اليهود من عزلتهم الروحية فتعلموا لغات الامم التي تحيط بهم ودرسوا العلوم العصرية وامعنوا النظر في حركات التحرر القومية ابتدأوا يكتبون في اللغة العبرية المقدسة • هذه اللغة التي كانت تغط في سبات الدهور بين جدران الكنس والمجامع الدينية • فبدأوا منذ منتصف القرن الثامن عشر يكتبون الادب الدنيوي باللغة المقدسة . فكان مركز هذه الحركة الادبية في المانيا حيث صدرت اول مجلة شهرية ادبية بصورة عصرية • فظهر بعدئذ شعراء وقصاصون وانتشرت حركة الرينيسانس الادبية في ارجاء المجتمع اليهودى في اوروبا وامتزجت مع الحركة الصهيونية بل كانت اساسا معنويا لهذه الحركة القومية قبل ظهورها وتبلورها •

وهذه الفترة التي دعيت في تاريخ الادب **فترة الثقافة** (هاسكالاه) دعيت كذلك فترة الادب العبري الحديث ، وهي اخر فترة من فترات الادب العبرى • وقد قسمت هذه الفترة الى فترات زمنية قصيرة حسب اختلاف تيارات الادب والفكر وحسب اختلافات الاقليم الجغرافي، واخر جزء من هذه الفترة هو ما يسمى بالادب الاسرائيلي وهو ادب الارض المقدسة قبل قيام الدولة وبعدها • وهي اخر حلقة ادبية من حلقات الادب العبري الحديث• جمعت بين الشرق والغرب وبين القديم والحديث • وقد وصلت درجة التاليف والترجمة في هذه الفترة الى ذروة لم يسبق لها نظير لانها فترة انتاج عبري وحياة عبرية على السواء •

ميشيل حداد

نقطة الزيت وصرخة العبث

مع الشاعر سعيد زيداني

يطيب لي ان امشي في الليل وحدي
وعشرون ضوء من ناحية الشارع
تمد عشرين ظلا لي من ناحية الشارع الاخرى
هل يبقى واحد من هؤلاء العشرين
ماردا بعد ان ارحل ؟
امشي في الليل وحدي
كبقعة زيت على قميص ابيض

هذه المقطوعة الشعرية وقفت بيني وبين صاحبها الشاعر سعيد زيداني ، قرأناها معا وصمتنا ، وعدت بنفسي الى عنوانها «بقعة زيت على قميص ابيض» ولم اشأ ان افسر بنفسي فالمقطوعة في اطار مدرسة الشعر الحديث حرة الشكل ملفعة بضباب العصر واسال الشاعر عن نقطة الانطلاق :

– انها الشعور بالعبث بأن الانسان نقطة كنقطة الزيت لاقيمة لها تتفشى وتزول ..

وتعود بي الذاكره الى قصيدة له مماثلة نشرت في الملحق الادبي للانباء .. انها نفس الشعور حيث .

العالم كله عين ميلوسة
«العبث ! العبث !» كانت الصرخة

وسعيد نقدمه اليوم لقرائنا شاعر شاب في الثالثة والعشرين من عمره من سكان قرية «طمرة» في الجليل الغربي . يحمل شهادة ب٠أ٠ من جامعة حيفا في موضوعي اللغة والادب الانكليزي والفلسفة ، وهو يعمل في سلك التعليم في المدرسة الثانوية في طمرة –

ونساله :

– هل كتبت الشعر التقليدي ولماذا تحولت الى الشعر الحديث ؟

– محاولاتي في الشعر التقليدي قليلة وتحولت نحو الشعر الحديث لانني لا اومن بالتقيد في الاوزان والقوافي التقليديين ومع هذا فانا ارى في الشعر الحديث وزنا ينبع من تركيب الكلمات ومن الحروف المترددة والمكررة في الشطرات . ففي «اطارات وصور» نلاحظ تكرار الحرفين الجيم والثاء :

والبرد ثقيل في الخارج
الثلج يجمد الجثث الجاثمة في الخارج

– هل ترى ان الشاعر الحديث يتقصد مثل هذه التراكيب اللفظية ؟

– زخم التجربة هو الذي يؤدي الى الحساسية في انتقاء الكلمة بشكل تلقائي وافتعال مثل هذه التراكيب امر بعيد عن الشعر .

– لم تذكر لي لماذا تحولت الى الشعر الحديث ؟

– المواضيع التي يعالجها الشعر التقليدي هي مواضيع عولجت من قبل قررت واجترت وهي على الغالب في ايامنا هذه اقرب الى النثر منها الى الشعر رغم القوافي والاوزان ، وهي سطحية ينقصها عمق المعالجة الموضوعية التحرر من الوزن والقافية اعطى الشاعر حرية في ان يعبر عن ذاته بصورة ادق واكثر تعبيرا وانطلاقا .

– هل ترى ان القاريء يتقبل هذا الشعر بشكله الجديد ومضمونه العصري ؟

– القاريء العادي لا يتقبل هذا الشعر ، ولكن بعض المثقفين اخذوا يتذوقونه ويقرؤونه ويحاولون دراسته ، قارؤنا غير مؤهل في الغالب لتذوق الشعر الحديث .

انا ارى ان القاريء الاوروبي يفهم ما يقرأ ثم يرفض بينما القاريء عندنا يرفض دون ان يقرأ .

وفي بعض الاحيان يرفض هذا الشعر لمجرد خلوه من الوزن والقافية ٠

في الادب الغربي هنالك نقاد ومحللون يهتمـــون بتبسيط وتوضيح هذه القصائد وعرضها بشكل مفهوم الى حد ما للقاري، ٠ اما بالنسبة لقصائدنا فالقاري، يواجه القصيدة دونما عون فالنقد عندنا يفتقر لعنصر التحليل ٠

ـ هل لديك مجموعة معدة للطبع ؟

ـ لدي مجموعـــة ومعدة للطبـــع لكن تحتاج الى «تدقيق» اكثر ٠٠ ومع هذا فقد اصدر مجموعة اولى خلال الخريف القادم ٠

ـ لم نتحدث بعد عن مضمون القصائد الحديثة بشكل عام ٠

ـ انا اتحدث عن قصائدي ، فالمواضيوع التـــي اعالجها هي المواضيع المرتبطة بحياة ووجود الانسان كانسان مثل قضايا الموت والجنس والوجود والعـــدم وبعض المواضيع الاساسية للفلسفة الوجودية ٠

سعيد زيداني

٣ قصائـــد

السلة التي تلهو بها الغربان

والحلم يلتف حول عنقك كالافعى ،
كحبل المشـــنقة ٠
وعلى جلدك حبات العرق
ستار من الملح المرشوش على الجروح ٠
ولسانك قد غدا حطبا ٠

الحلم الذى كنت في انتظاره
قد القوا القبض عليه في سجون الفجر !

تعودت بالليـــل :
ان تقطف النجوم عن دواليها ،
ان ترشف الانغام عن نهدي « هلين » ،
ان ترى خطا ابيض طوله الفي سنة !
ولكـــن ٠٠
الحلم الذى كنت في انتظاره
قد القوا القبض عليه في سجون الفجر !
وجاء الحلم الذى ٠٠
يلتف حول عنقك كالافعى ، كحبل المشنقة ٠
وجاء الحلم الذى ٠٠
ستار من الملح المرشوش على الجروح ٠
وجاء الحلم الذى كالواقع ٠٠
يجعل من راسك سلة تلهو بها الغربان !

بقع حمراء على الستار الابيض

الانفاس جمدها في الحلق زحف الليل ٠
جمدتها رؤى هبوط الناس عن حافة جدران الزمن ٠
هبطـــوا ،
وما تركـــوا الا ٠٠
بقعا حمراء على ستار الحلم الابيض ٠
وفي الصباح ســـعال !

الغربان والعنادل

قبل ان ارحل يا حبيبتي كنت قد ٠٠
وضعت السلة فوق السطح ٠
هربت كـــل الغربان ٠
ولما عدت من سفرة ما وراء القضبان
كان الريش قد كسا صغار العنادل
في راســـي ٠

موريس عواد

٩ قصائـــد

من ديوانه : بوسي ، بوستين ، تلاتي (بيروت ، ١٩٧٢)

ليش مش عم ترجفي ؟

كنتي ع ايدي ترجفي كلك سوا
وارجف عليـكي رجفتي ،
اركض ع جسمك ، ابرمو ، شوفو التوا
جسمك علي ، رن ، انقف نقفتي
واهرب ، وضيع وخلف شعرك التقا
وشوفك قبالي متل قصفة زمبقا
يـا دايخـا ،
ي مرنخـا
يا منهنها بـوج الهوا ،
وشي متـل ورقا بالهــوا
عم ترجفي كلك سوا .
وتقربي ، وتبعدي ، وتتكومي ،
وصوتك يفلت تمتمتـي
حاجي بقـا ...
يخطر عبالك تحدفيني بحرنقا ،
ولمن تجي تاتحدفي ، ما تحدفي ،
وتشرقطي لم فكرك رح تنطفي ،
انبش سرارك هالزغيري واسرقا
شي يستحي ويقول بعدو ما استوا
شــي يخرقــو
شــي يحرقــو
متل البيخافو من الهـوا ،
وحاجي بقا ، وعم ترجفي كلك سوا .

واليوم صرتي متل فرشي باردي
يا متل قصة حب دفترها انطوا ،
وصرت شوفك حد مني شاردي
لمن ما عدتي ترجفي كلك سوا .

خفت انـك تكبري

بهونيك هرا ، خفت انك تكبري
والعمر طير مسافر بهالجو ،
شو بعمل ؟ وكل يوم عم تتغبري
باليمكن ، وكيف ، ويا ريت ، ولو ،
بكمش الليل وبخلطو بالضو ،
كرمال ت تضلي صبيي تفرفري ؟
بشيل الدقيقا من السني ؟
بخلي السني تنقص شهر ؟
بلعب باوتـار الدني
عن ولدني ، وبغمز الدهر ؟
بلم الزمان وبحبسو بقجي
وضيع القجي بالزمــان ؟
رح ضيعا ، ويمكن كمان
خلي الدقايق يعملو ضجي
ويخربطو سر الزمــان .

بهونيك ليلي ، بصيف عينيكي نمت
بصرتك بنومي ، بس ما عرفتك
من غبرة الايام ، وحدفتك
بلفتي ، بكيتي ، عرفتك ، بلحظا قمت
وخايف عليكي بالمنام تختيري
خبيتك ببوسـي بعد
ما بستها ، ت يضل عندك بعد
ليلي ، واجي عالوعد
وكرمال ليلي ، الف ليلي تنطري .

فاروق مواسي

لماذا شطبوا اسمي

قصـــة

عدت الى بيتي وانا اجر خطاي ، رجلاي خشبتـــان واوصالي تكاد تتمزق ٠ طرقت الباب حتى تفتح لـي زوجتي ـ هذه المسكينة التي ربمـــا تنتظرني باقسى عذاب ـ ولم ادخل ٠

همت على وجهي في شارع يؤدي الى ازقة تتشابه ٠

احببت الظلمة وتمنيت ان افرغ في جوفي كأسا على الاقل وتذكرت قول صديقي : «ما اروع المحرمات» !

كان سؤال غريب يتشكل في رأسي بدىء لماذا وفي الخطوة الثانية اضفت شطبوا ومع الخطوة الثالثـــة اتممت السؤال ٠

كنت مبادئا في مشروع ساهم فيه نفر مـــن اصدقائي « الطيبين » فاذا بهم يقلبون لي ظهر المجن يشطبون اسمي من القائمـــة ويطردوني جزءا جزءا ٠

وعندما صحوت اكثر اعدت على نفسي السؤال لماذا شطبوا اسمي ؟

وبصك اسنان لماذا شطبوا ؟

وببصقة كبيرة لماذا ؟

في طريقي سمعت صوت امرأة تتوجع في ممارســـة سادية واذا بها تتقبل ضربات تنهال عليها من زوجها الكريم ٠ ودعاني تطفلي ان اعرف سبب الضرب ٠

في الصباح قالت له اسكت امام اصحابه فاخذ يستعرض بطولته في الليل ٠

ولكن ماذا يعنيني ٠

المهم انهم شطبوا اسمي ٠

وصلت منطقة ضوء ٠ ادركت هول مصيري ٠ يجب ان اعود ٠ اطلقت على نفسي مسبة كبيرة ممزوجة بجزء من آيـة ٠

في طريق عودتي تلهيت بأوهام كثيرة وخرافات ٠ بنيت قصورا وهدمتها لكـــن السؤال كان يعاودنـــي ويصفعني ويلعن وجودي ٠

وقبل ان تفتح لي الباب بادرتها بالسؤال ولكنهـــا اجابتني بقبلة ملتهبة ٠ الواقع انها كانت سوطا ٠

القبلة عندها اسلوب لتخفيف حدة التوتر . فقــد رأتني منذ الصباح واجما ساهما وعندما عدت لمحـــت الدهشة بين عيني ٠

واعادتها وبدت لي كأنها تستهزىء بي ٠

دعوت نفسي لعقابها لكني تذكرت المرأة التي كانت تبكي وكادت نياط قلبي ان تتأذى بسببها ٠

ولم اتمالك الا ان اضمها الي بلا شوق وبلا رغبة ولو على سبيل المجاملة ٠

اذكر انني كنت مبادئا في مشروع ساهم فيه نفر من اصدقائي «الطيبين» فاذا بهم بين عشيـة وضحاها اصحاب المشروع وانا كالكلب اقف على الابواب ٠

في السابعة صباحا استيقظت بلا تفاؤل رسمت بسمة على شفتي سرعان ما هزئت بها ، فكرت لاول مرة في فلسفات نيتشه وشوبنهور ٠

ورغم ان معلوماتي في الفلسفة محدودة لكني عالجت قضية الانتحار بطريقتي الخاصة ٠

رفضت ان استمع الى الاخبار فهي مملة شرقا وغربا٠

ـ الغناء ٠٠ الرقص ٠٠ الشعر ٠

ـ الفنون الجميلة اضحت مسميات مبهمة ٠ ليس ذلك تشاؤما كما تدعي زوجتي بدليل انني اغني وارقص واقرض الشعر ٠

ـ الصلاة ، الصوم ، الزكاة ٠

ـ العبادات القديمة اضحت مسميات مبهمة ، ليس ذلك كفرا كما تدعي زوجتي بدليل انني اقوم ببعضها ٠

ـ الفتيات ، الصبايا ، البنات ٠

ـ لا اريد ان اتعجل القول انها مسميات مبهمة ٠ انها ضرورية كالماء والهواء ولكنها لا تمنعني وانا في المعمعه ان

(التتمة على ص ٧٤)

حسن قفيشة

«الجسر والطوفان»

لزكي درويش

لو كانت مرتبة الاديب مرهونة بحظه من الاضواء الاعلامية والدعائية لكان زكي درويش اخر من يدرج في قائمة الادباء المحليين . ولكن في «لو» هذه (ودلالتها على الامتناع) رحمة به وبامثاله من الادباء الاصيلين الصامتين . انه لا يلهث وراء شاشة تلفاز او برنامج اذاعي او مقابلة صحفية . بل هو كما يبدو لي يفر منها ويتحاشاها . فلا يكاد يجد الانسان سبيلا للتعرف عليه سوى كتاباته والقليل من اللقاءات الادبية العامة .

وكتاباته القصصية خاصة موزعة بين اعداد «الشرق» وغير «الشرق» جمع بعضا منها في مجموعتين قصصيتين : الاولى «شتاء الغربة» وقد نشرها سنة ١٩٧١ باصدار «الشرق» ، والثانية «الجسر والطوفان» وقد نشرها هذا العام (١٩٧٣) وباصدار مجلة «الشرق» ايضا .

واذا كانت المجموعة الاولى قد اخذت طريقها الى القراء ونالت بعض حظها من الدراسة فان المجموعة الثانية «الجسر والطوفان» لا تزال في طريقها الى مزيد من القراء وفي حاجة الى مزيد من دراسات متأنية فاحصة تكشف عن مدى التقدم والنمو لدى الاديب عبر اعوام ثلاثة :

موازنة بسيطة بين موضوع قصص «شتاء الغربة» وقصص «الجسر والطوفان» تظهر النقلة الواضحة لدى «درويش» ، فبينما كان الموضوع الرئيسي للمجموعة الاولى هو القرية في صمودها امام زحف المدينة او هو الصراع بين جيل الآباء (الاقحاح) في القرية وبين جيل الابناء المشربين بمفاهيم الحضارة الوافدة ، اذا بنا في المجموعة الثانية امام مواضيع تتجاوز القضية الجزئية ذات الافق المحدود .. امام قضايا ارحب افقا واعمق غورا ، امام قضايا الانسان من حيث هو انسان .. في كل زمان ومكان .

وهذه الملاحظة تستدعي هذا التساؤل : هل تعني هذه النقلة ان القاص تجاوز وتخطى همومه وهموم امته وراح «يتسلى» بقضايا وهموم غيرها ؟

الجواب : نعم .. و .. لا

نعم .. لانك تقرأ القصة فلا تلتقي بشخصيات ذات هويات مميزة بل بشخصيات بلا سحنة واضحة او قومية معينة او وطن محدد او دين مخصوص بل هي احيانا كثيرة بلا اسماء ، القصة لا تقع في بلد معروف او زمن موقوت . فهي قصص بشخصيات واحداث للتجريد فيها حظ وافر وسهم كبير .

و .. لا .. لانك تساير القصة وتتعاطف مع شخصياتها وتعيش احداثها وعينك لا تزال تنظر ، واصبعك لا تفتأ تومىء الى قضايا بلدنا وهموم منطقتنا او ما يعاني زكي خاصة كما هو في مثل قصة «الشبابيك» .

هذه قصة «البيوت تنظر الى الشرق مرة اخرى» . انها نقاش يحتدم بين اثنين . تفلت حصاة من احدهما فتقتل الثاني . البغضاء والمنازعة ينموان والترويع والارهاب ينتشران فتدير البيوت ظهرها الى الشرق (رمز الحياة) . يلقى القبض على مصدر ترويع الناس وارهابهم فتعود البيوت تنظر الى الشرق مرة اخرى .

القصة تجريدية في احداثها وشخصياتها ، وانسانية في موضوعها . ولكن .. الا تومىء في قليل أو كثير الى منطقتنا وما تعانيه من فقدان امن واستقرار .. واستظهار للحياة واستقبال للموت والدمار ؟ قس على ذلك بقية القصص وخص بالقياس قصتي «الطوفان» و «الجسر» .

في قصة «الطوفان» مدينة تعيش على النظام والطاعة . افرادها دائبون في العمل . شيء مهم يجمعهم ويوحدهم ، انه الخوف . الخوف من الطوفان وهو خوف يمكن تفاديه ببناء سد متين يحمي المدينة الى الابد لكن هذا لا يرضي الكاهن ولا يسمح به لان زوال الخوف نهاية لطاعتهم له وبداية لتفكيرهم في اوضاعهم ومصيرهم وبداية لتبلور رؤية جديدة تخالف رؤية الكاهن .

هي قصة انسانية تعري كل مجتمع انساني مع تفاوت قليل او كثير ، وهي فوق ذلك - في رأيي - تومىء ايماءة ذكية الى وضع اسرائيل المدين لعقدة الشعور بالخوف .

وفي قصة «الجسر» تتنازع قريتان من على ضفتي نهر . يمتد النزاع الى الابناء وهم لا يدرون سببه . احد رجال القريتين يجتاز النهر الى الضفة الاخرى فيحرث ويبذر . تثور خواطر اهل القرية فيهدئها المختار . يتوالى مثل ذلك ثم ينصب الرجل جسرا فوق النهر . تتوالى الايام وتتوالى الزيارات ويتسع الجسر ويموت العداء وتتعانق القريتان من حول النهر .

الايماءة هنا اوضح ، وتعبير القاص عن امانيه ورؤيته لخاتمة المطاف افصح وأبين . وليس عفوا او مصادفة ان يسمي القاص مجموعته باسم «الجسر والطوفان» وان يسهب في «الطوفان» ويطيل اطالة واضحة وان يتبع «الطوفان» بقصة «الجسر» فتكون خاتمة المجموعة . انها تسمية معبرة بذكاء .

وهنا اقدر تساؤل اخرين : اهذا ما يعنيه القاص حقا ؟ واذا كان هذا هو حقا ما يعنيه فلم لا يفصح عنه بوضوح ؟ ولم هذه التعمية والابهام ؟

هذا التساؤل يطل بنا على مسألتي البناء والتعبير عند درويش :

زكي درويش يعدل في قصصه عن الشكل التقليدي للقصة وعن بنائها الهرمي ؛ ليس في قصته تمهيد ثم توتر متصاعد ثم انفراج ازمة وبلوغ الى حل ، ليس في قصته تأزم يحبس الانفاس ولا لحظة تنوير تبتهر الانظار وتذهل الاذهان . القصة عند درويش ذات مسار متقارب في الصعود والهبوط غير حاد في الارتفاع او الانحدار . القصة من هذه الناحية اشبه بسلسلة من الامواج المنداحة المتلاحقة منها بشكل الهرم ذي القمة الشامخة . يبلغ القارىء نهاية القصة فلا يؤخذ بروعة المفاجاة او سعة الحيلة . انما يستولي على انتباهه التفكير في الذي قرأ والبحث عما اراد الكاتب ورمى اليه القاص يعرض احداثا وشخصيات يغلب عليها التجريد، لذا يحس القارىء انها احداث عائمة نوعا ، غير مشدودة الى مكان بعينه وشخوص ذوي ملامح محددة كما هو الامر في القصص المألوفة .

هذا الاتجاه في بناء القصة مضافا اليه ميل القاص للرمز بين فينة واخرى يساعدنا على معرفة سبب استغلاق القصة على القارىء لاول مرة ويفسر لنا حاجته الى قراءتها ثانية او ثالثة . غير انه في كل مرة سيزداد قربا منها وتفهما لها وتقديرا لقدرة القاص وعمق انفعاله وصدق معاناته .

على ان الجنوح الى الرمز عند القاص لا يعدو ان يكون لماما لذا يبقى الطابع العام للعبارة كعبارة هو الوضوح مع ميل شديد الى العفوية حتى لتقرب العبارة عنده من عبارة الحديث العادي فيزيد ذلك من انس القارىء بالقصة وتمثله لجوها الطبيعي ودقائق انفعالات شخصياتها وتبرز هذه العفوية في بساطة المفردات ، وفي قصر العبارات وتلاحقها - في المواقف الانفعالية خاصة - وفي ميله الى الاستدراك بـ «لكن» والاضراب بـ «بل» وما شابه . مثال ذلك ما جاء في قصة «نجوم في سماء **الغرفة**» حيث قال : «درت دورة كاملة الحي كله، ليس لمجرد النزهة **بل** لاني ضللت الطريق تماما .. **ليس بالمعنى الدقيق .. الواقع** اني لم ادرك كيف اصبحت بعيدا عن مدخل الشارع المؤدي الى البيت فدرت دورة كاملة» .

على ان هذه العفوية الظاهرة مصحوبة بانضباط رائع دقيق ؛ انظر اليه مثلا في قصة «الرجل الذي يكذب كثيرا» كيف يؤلف ويوائم بين العفوية الظاهرية الصادقة وبين القصد الى الغمز والتعريض حين يقول : «على اي حال . صنعنا هرما لكي نصل الى الشجيرة ، فسقط الاول ذلك الذي يقف في الاسفل فسقط الاخرون . **كان هناك خطأ فني: فقد كنت اقواهم ولكني وقفت فوقهم جميعا . اما الذي جلس في الاسفل فقد كان اضعفنا بنية** . المهم اننا سقطنا على تربة موحلة فتلوثت ثيابنا» أرأيت كيف يجمع في العبارة الواحدة بين العفوية **وغمز** المجتمعات حيث يدوس القوي فيها الضعيف ؟! الضعيف في اسفل الهرم والقوي في قمته حيث الكسب الوافر من غير جهد بل بجهد الاخرين !!

هذا في رأيي هو التكثيف الناجح للعبارة الذي يغني عن ثرثرة طويلة في غير نفع وهذا بعض ما يقتضي القارىء مزيدا من اناة وتعمق لا ان يمر بالعبارة مر الكرام راكضا خلف احداث ضخمة او مفاجآت غريبة .

عبد المنعم الصاوي

الترام والسائق

قصة مصرية

دبيب خطواته كان منتظما وخافتا ، كدقات الساعة!

وعصا من الابنوس الاسود ، تتحرك مع خطواته ، فيكون لها نقر ، ينتظم مع دبيب الخطو ، كعقربي الساعة ، لا يسبق احدهما الاخر !

والذراع اليسرى محمولة على يمين فتية ، استدارت كالشماعة ، لتحملها في غير عناء .

والشعر اشيب والنظرات تائهة بين معالم الشارع القديم ، والوجه الشاب .

وحديث يتدفق كمياه النهر ، عندما تتساقط من مرتفع ، لا يمنعها حجر ولا حفر !

وشارع محمد علي فيه صخب ، ترتفع فيه اصوات الباعة ، ونداءات الصبية ، وهدير الركاب ، وهم يتدافعون نحو الترام ، او يندفعون منه ، بعد رحلات العذاب !

والحديث مع هذا يتدفق ! يرتفع حتى يعلو على الصخب ، او يسرى كالهمس ، عندما تستوى الاصوات بين حين وحين !

الاصوات ايضا كارض الطريق ، وكطبقات الجو ، فيها مرتفعات ومنخفضات ، ولحظات هدوء ، تستقيم فيها في اعتدال !

وكحفر الطريق ، او جيوب الهواء تكون الاصوات .. احيانا !

وككتل الطين ، او قطع السحاب تكون في احيان اخرى !

واذا كان الراجل او الراكب ، او الطائر في الفضاء، يتفادى هذه وتلك ، تحقيقا للسلامة ، فان الصوت كذلك يتفادى صخب الضوضاء ، وفجوات الصمت ، ليسرى !

اليس الصوت جزءا من الطبيعة كالارض والهواء والفضاء ؟

وقصة الطبيعة والانسان غريبة :

الطبيعة مخلوقة للانسان ، لكنها قد تتمرد ، او تتمنع ، او تتعقد ، او تتدلل ، او تتساهل ! ويصبح على الانسان ان يتشدد ، او يتحايل ، او يتغنى ، او يتمنى او يصبر !

الطبيعة السخية ، قد تشجع الانسان على الخمول !

والطبيعة البخيلة ، قد تثير فيه العناد !

.. وعندما تتعرى الطبيعة من اوديتها ، فقدتعافها النفس ، فان تدثرت لتتخفى ، فسيجد الانســـــان ليعريها !

لعبة !! كشد الحبل .. مثلا ! او ربما كمصارعة الثيران !! او كاليوجا عندما يمارس بعض الناس ، حركات جنونية ، ليثبتوا تفوقهم على الضعف !

وايا كانت اللعبة ، فهي مسلية !

الطبيعة تحاصر الانسان ، فيحاول ان يفلت منها ! والانسان يطوق الطبيعة فتعذبه بالتمنع !

والانسان والطبيعة في هذه اللعبة الدائمة والمتصلة ، لا يتعبان ابدا !

والصوت عنصر من عناصر الطبيعة وشارع محمد علي جزء من طبيعة القاهرة ، قديم وغريب !

وكما تتداخل الاصوات في شارع محمد علي ، وتصبح مرة صخبا مزعجا فانها ترق في حين حتى تصبح كهمس العشاق ، وتعمق في حين اخر ، حتى تصبح كمطبات الطريق !

وفي شارع محمد علي تتناثر البارات والمكتبات ، ويبيعون كتب التراث كما يبيعون الهوى المشبوب !

وتجد دكانا للطبل والناي والارغول يجاوره دكان لعصير القصب او الخروب او الطرشي !

وراقصات شارع محمد علي ، ملفوفات في الملايات، لكن وجوههن تنضج بلون اشد حمرة من الرمان ! وتحت الملايات فساتين اضيق من ملابس راقصات البالية !

وترتفع في شارع محمد علي نغمات الالات النحاسية، تتنافس صيحات باعة اليانصيب !

وتتجاور على الارصفة روايح الشبراويشي وكريستان ديور !

وقد تصادف الديوك الرومي تذهب وتجيء في خيلاء، وقد تتواثب الى جوارها الارانب ، فتملأ الارصفة بالحركة والمرح !

والبارات منتشرة تحت البواكي ، حيث يحتل شراب الزبيب مكان الصدارة بين المشروبات ، ويوزعونه هناك في انية صغيرة من زجاج ، والى جواره حبات الترمس والحمص المالح • ويدور باعة الفول السوداني على الجالسين ، ليوزعوه على الشاربين •

وبين حين وحين ، يدخل باعة السميط والبيض المسلوق ، ليجد الجائعون ما يسدون به الرمق ، ويغيرون به طعم الزبيب في حلوق خدرها المشروب !

ويدور على السكارى ماسحو الاحذية ، لتلمع الاحذية ، كما تلمع الخدود من فرط الشراب !

وشارع محمد علي ليس شارعا من شوارع القاهرة القديمة • انما هو احد شرايين العاصمة ، فهو يمتد من ميدان العتبة الخضراء الى ميدان القلعة ، حيث يقع جامع السلطان حسن وجامع الرفاعي ، ويتصاعد الميدان بين الجامعين بمآذنهما الرائعة ليصل الى ميدان القلعة ، حيث كان سجن مصر القديم ، هو نهاية المطاف !

والسجن لم يمنع الشارع العتيق عن ان يمر بميدان باب الخلق ، ودار الكتب ، ومتحف الفن الاسلامي !

وفي دار الكتب مخطوطات تتحدث عن الفردوس والنعيم ، والوان من الغزل الحيي والمكشوف ، وتذكره داوود !

لكن هذا الفردوس لا يمنع ان يكون احد روافد الشارع القديم ، سوق السلاح ، وحارة الدود !

والقهوة العالية كانت ملتقى المتأدبين من ابناء القاهرة حيث يتقابلون ليتبادلوا القريض ، ويتطارحوا باشعار المديح والهجاء ، ويلعبوا الطاولة مع هذا ، ويشربون السحلب في ليالي الشتاء •

ولقد ظلت البواكي هي البواكي ، وظلت القهوة العالية على العهد بها ، لا تتغير ولا تتبدل • وعندما تطورت الدنيا ، لم يلحق شارع محمد علي من مظاهر التطور ، الا قهوة عكاشة ومع هذا فقد كانت قهوة عكاشة هذه تجلس القرفصاء في حياء ، تطل على الرصيف ، من تحت البواكي !

وحاول عكاشة ان يجعل من القهوة التي بناها تحت عمارة عالية مهيبة ، اكبر معالم شارع محمد علي • ومن اجل هذا اثث القهوة تأثيثا انيقا ، وفرشها بالسجاجيد ، ووضع على موائدها افخر المفارش ! وتعمد ان يحجب عنها الشمس ، لتلعب الاضاءة الخافتة دورها ، وتضفي على الجو مسحة من الجمال المسحور ، ليتلاقى العشاق امنين من نور النهار ومن الفضول !

ويردد الناس عن عكاشة هذا النوادر !

كان فنانا ! وعلى عكس فناني عصره ، فقد حول فنه الى ذهب فصار عاشقا للحياة ، متيما بنعيم الدنيا يحيط نفسه بكل المباهج والمسرات • وكان يزعجه ان يتصور ان هذا كله قد يزول ! عندئذ كا نيصاب بسعار !

بنى عمارة كبيرة ليضمن له دخلها ان يعيش امنا من الحاجة •

واقام القهوة الفاخرة لتدر عليه ما يكفل له النعيم •

•• وعندما راودته فكرة الموت ، جن جنونه ، وادرك ان هذا شيء فوق العمارة والقهوة ، واجهزة الارسال التي تحمل رغبات العشاق ، من اطايب الطعام والمشروبات •

ولم يجد عكاشة امامه ، الا ان يبني لنفسه افخم مدفن ، يمكن ان يسجى فيه جدث ، فما دام الموت قادما اليه ذات يوم ، فعليه ان يتحصن له بكل ما يستطيع •

ويحكي سدنة الموت من «التربية» ان القبر الذي اقامه عكاشة لنفسه ، كان شيئا يرد الروح !

مطلي بافخر طلاء ، ومكسو بالقيشاني ، ومزود بالماء والكهرباء ! وفيه كذلك خط تليفوني ، له رقم ، وفيه حرارة ، ويدفع عنه الاشتراك اللازم !

ولما مات عكاشة ، تقطعت اسلاك الكهرباء ، وصدات مواسير المياه ، وتوقف رنين التليفون !

•• تماما كقهوة عكاشة ، ابتلعها شارع محمد علي بصخبه ، بين ما ابتلع من المعالم الغريبة الدخيلة عليه !

وظل شارع محمد علي ، هو شارع محمد علي ببواكيه ، والترام رقم ٢٣ او ١٣ ، وروافده المتمددة حواليه وحماماته التركية ، ذات البخار الكثيف •

ومضت كلمات الرجل الاشيب ، مع الخطو المنتظم ، والنقر الرتيب ، من عصاه السوداء ، تتدفق في غير مبالاة بما يدور حولها من حركة ، ترتفع مرة ، لتغطي على ضوضاء الترام ، وتنخفض مرة اخرى ، لتتناسب مع هدوء الاصوات ، وتهمس مرة ثالثة عندما تصادف منحدرا من منحدرات الصوت ، وهو يسرى في هذا الاصيل !

لكن الطريق كالانسان يا ابني ·· يكبر مع الايام ·

الرجل ايضا يشيخ فيخلع اسنانه ويبدو فمه كالاطلال كسر هنا وفراغ هناك ، وبين الكسر والفراغ بقايا ضرس لا يزال يكابر وهو يغالب الزمن ·

وايا كان اتقان ما يضع الرجل في شيخوخته من اسنان مصنوعة ، فستستمر الصنعة مع هذا ظاهرة تماما كصبغة الشعر يلمع بطلاء ، لكن منابت الشعر مع هذا تكشف الطلاء !

وهذا الشارع يا بني شاخ كالانسان ·

اين البواكي التي كانت تحمى المارة من حرارة الشمس ؟ لماذا ذهبت ؟

واين الزخارف العربية ذات العبق كانها البخور ؟ واين النوافذ الخشبية والمشربيات

بل واين الشرفات ذات الاعمدة ، وعليها تتسلق زهور الياسمين ؟

·· والقهوة العالية ·· اين هي الان ، وقد صارت مخزنا او ورشة لصنع الاثاث ؟

لم يبق يا بني من هذه المعالم ، الا الترام رقم ٢٣ ، ورقم ١٣ ، لكن الرحلة فيه صارت مأساة !

في ايامنا يا ابني كان زحام ايضا لكنه كان زحاما محتملا على كل حال وكان مقصورا مع هذا على اوقات محدودة من النهار ·

وكنت من زبائن الخط رقم ٢٣ يا ابني ·

كان ذلك وانا بعد طالب ادرس في الجامعة · وكنت استقل الترام ١٥ من الجيزة الى العتبة الخضراء ، ثم استقل هذا الترام الى حيث اسكن في هذا الشارع العتيق ·

ولن انسى ما وقع لنا ذات يوم في هذا الترام · انها قصة لا تنسى ابدا ·

كنا في اوائل الصيف ، وكان الحر شديدا كالعادة · وركبنا هذا الترام من العتبة لنعود الى بيوتنا ·

·· وفوجئنا بالترام يطيل الوقوف في احدى المحطات، عند باب الخلق ·

وظننا ان السنجة خرجت عن مكانها المعتاد ، وان السائق يحاول اعادتها الى حيث يجب ان تكون ·

لكن الانتظار طال عن المالوف ·· ثم طال ·

وتساءلنا عن الخبر ، فلم نجد بين الركاب من يعرف شيئا ، فسالنا الكمسارى ، فقال :

ـ السواق بيكوى الطربوش !

وانفجرنا جميعا ضاحكين !

السواق بيكوى الطربوش ؟! ولماذا الان ، وفي هذا الوقت من النهار ، والركاب يتعجلون العودة الى بيوتهم للغداء ؟

قال الكمسارى :

ـ وهيه يعنى الدنيا طارت ؟

قلنا :

لا ·· ما طارتش ·

قال :

ـ اهو كل واحد يساع التاني · يجري ايه ؟

·· وتقبلنا النكتة ، واخذنا نمزح من طروفة الموقف·

لكن المزاح لم يطل بنا ، فقد ترامت الى اسماعنا اصوات عراك وكان مصدر هذه الاصوات ، دكان الطرابيشي الذي يكوى سائقنا طربوشه فيه ·

ووصلتنا اطراف لاذعة من اصوات العراك ·

ـ قلت لك قرشين ·· يعني قرشين

ـ طول عمري باكويه بقرش بس ·

ـ دا كان نصه مزيت ·

ـ وايه يعني ؟

ـ واخد بنزين بقرش عشان اشيل النتانة اللي كانت فيه ·

ـ نتانة برضه يا راجل ياللي متختشيش ؟

ـ انا اللي مختشيش ، عشان نضفت وساختك ؟

ـ انت اللي وسخ ·

ـ طيب بس احسن لك ·

وانقلب العراك الى صدام وتشابك اما الطرابيشي فقد رفع قالبا من قوالب الطرابيشي ليهوى بهاعلى راس سائق الترام ، واما السائق ، فقد استغاث بزميله الكمسارى ·

ووثب زميله اليه ، وفي يده الزمارة النحاس الطويلة

واختلط كل شيء ، فلم نتبين شيئا وبعد لحظات ، كانت المعركة قد احتدمت بين الطرابيشي والسائق · وتعصب للطرابيشي صبيانه ، وانضم الى السائق زميله الكمساري · واسفرت المعركة عن تقطيع الملابس ، وجروح ينزف منها الدم ، وكدمات !

لكنا ضحكنا مع هذا ، عندما شاهدنا بعض اطراف العراك ، فقد هبطت الطرابيش من فوق رؤوسهم الى اذانهم ! وقد تكسرت ، وتداخلت منبعض الازرار ، اماكن مختلفة من اجزائها ، وتناثرت الخيوط السوداء ، الطرابيش المصابة ، واخذت تدور مع الصيحات العصبية في كل اتجاه !

المهم ان عساكر البوليس اقبلوا ، وصحبوا الجميع الى قسم الخليفة ، بعد ان رفض كل طرف انيتصالح مع الطرف الاخر ·

وتركنا وحدنا يا ابني !

واخذ كل منا ينظر الى الاخر في حيرة · ماذا نفعل ؟

ولم يشأ واحدا منا ان ينزل من الترام · لقد قطعنا التذاكر ، ودفع كل منا ستة مليمات عن التذكرة ، وصار من حقنا ان نذهب بالترام ، الى المحطة التي نريد !

لكن الوقت يمر ، وعربات الترام خلفنا تتراكم ، والاصوات تعلو باحتجاج حتى بدأنا نشعر اننا متهمون بتعطيل حركة المرور ، وتعطيل الناس عن العودة الى بيوتهم !

وقفز منا واحد ، وهو يصيح :

ــ انا اسوق الترام ! هية شغلانة ؟ اتفضلوا !

وبقينا في اماكنا جالسين ، او واقفين · لم يعلق احد بشيء · لم يقل احد كلمة · لم يعترض احد · ولم ينزل من الترام احد ·

وفي مكان السائق ، اعتدل الراكب واختبر عجلة القيادة ، ثم تحسس مكان جرس التنبيه ، واطل على السنجة المعلقة في اعلى ، وادار عجلة القيادة فوثب الترام ، كالحصان الجامح ، ومضى يجري على الشريط كالمجنون !

واصابتنا المفاجاة بصدمة ! ثم صارت الصدمة نوعا من الفزع ! والترام مع هذا يجري سريعا ، لا يقف ولا يهدأ والمحطات تتوالى ، فلا يعيرها اي التفات ·

وكانت الدورة عند ميدان باب الخلق سريعة ورهيبة! كانما كنا نلعب في لونابارك !

اشارات المرور لم تعد تهم! حمراء او خضراء لا تهم !

السيارات التي تعبر الطريق بالعرض لم تعد كذلك تهم !

عربات الكارو ، والباعة الجائلون ، والمشاة من الرجال والنساء والاطفال ·· كلهم لم يهموا السائق ، او يحملوه على التمهل او الوقوف !

الجرس يرن ، بلا انقطاع ، كانه نذير الموت ! ولا شيء سواه !

وشعرنا اننا نركب ترام الموت ! واخذنا نتوقع بين لحظة واخرى اننا سنفاجأ في اية لحظة بالترام ينقلب بنا او يخرج على الشريط ، او يقتل عابرا في الطريق، او يصطدم بسيارة او يزحف على احدى عربات الكارو او يفعل اي شيء ، في اي وقت ، دون ان يقف او يتمهل !

وبدأ الصياح ! وبدأ الركاب يستغيثون !

واحاط عدد منا بالسائق يتأمل ماذا يفعل ، لكنه هو نفسه ، لم يكن يعرف ماذا يفعل !!

لقد حرك الترام بسرعة مذهلة وكان هذا حسبه !

واستغرقت المغامرة ، فلم يعد يستطيع ان يتصور كيف يخرج منها ·

وبدأ العرق يسيل على جبهته ، وعلى عينيه ، ومع هذا فلم يكن يرفع يديه عن عجلة القيادة ، ولم يكن يرفع رجله عن مكان جرس التنبيه !

السرعة المجنونة ، وجرس التنبيه المتصل ، وناس مذعورين من الموقف واخرون يطلون من جوانب الشارع العريق في ذهول ، واصابع تشير تتوقع ان يصاب الترام بكارثة ، وصيحات فزعة من هول الموقف . ولكن ·· دون جدوى !

وفي ثانية كنا قد قطعنا شارع محمد علي كله ، وفي ثانية درنا الى يمين حول مسجد السلطان حسن ، وفي ثانية اعتدلنا لندخل الى حي الخليفة ، وفي ثانية كنا في طريق القرافة ، متجهين الى الامام الشافعي !

ثم ماذا يا ابني ؟ لم نكن ندري !!

وعند اخر الخط قرب الامام الشافعي ، بدأ كل منا يشعر بان سؤالا يدور في نفسه ، كيف نقف في اخر الخط ؟ كيف سيتمكن السائق من التحكم في عجلة القيادة ؟

وماذا يكون مصيرنا ، لو ظللنا على هذه الحال ، فخرجنا عن الشريط واندفعنا نصطدم بالمساكـــن والدكاكين ؟

واخذ كل منا يتوقع نهايته !

وكان كل شيء جاهزا لهذه النهاية !

لن نحتاج الى شيء ، ونحن بالفعل في قرافة الامام !

لقد وصلنا الى المدافن والحمد لله ، ولن نكلف احدا شيئا ، وقبور الصدقة كثيرة ، وجمعيات دفن الموتى على استعداد !

وفجاة بدأت سرعة الترام تخف .. وتخف .. والركاب يتواثبون الى خارج الترام ، وفيهم من وقع على الارض ، وفيهم من تمكن من الوثب سليما ، وفيهم من وقف يتردد على سلم الترام ينتهز مزيدا من الهدوء ليثب .

والسائق ماض لا يتبين من ذلك شيئا ، حتى صار وحده !

وعندما احس ان السرعة قد كادت ان تصبح سيرا متمهلا وقورا ، بدأ يدرك الموقف ، فقفز بدوره من الترام !

وكنا جميعا متزاحمين على ارصفة الشوارع مرتقين من لحظات الفزع التي عشناها .

وجاء السائق فجلس بدوره مع الجالسين ، هو يجفف عرقه .

وبعد لحظات صمت مضنية ، تناهت الى اسمعنا اصوات من بعيد ، تروى ما حدث .

ـ انت اللي عملتها ؟

ـ ابدا والله يا افندي .

ـ متخافش . دا انت انقذت حياة الناس دى كلها . عملت ايه ؟

ـ ولا تعملش في حاجة ؟

ـ دا احنا حنكافاك يا عبيط .

ـ لا يا عم . بس سيبوني .

ـ بس قول عملت ايه ؟

ـ اهو زي العيال كلها ما بتعمل ؟

ـ قطعت الكهربة ؟

ـ أ .. بس والنبي تسيبوني .

ـ والتحقيق ؟

ـ حتاخدوني القسم ؟

ـ بس تقول اقوالك ..

ـ بلاش والنبي يا عم ..

وفي قسم الخليفة ، وجدنا السائق والكمساري والطرابيشي لا يزالون يتحفزون ، كل منهم للاخر ، بالسباب والوعيد ، وقد ربطوا مواضع الاصابة فـي الوجوه ، ولا تزال الطرابيش على رؤوسهم هاوية الى اذانهم !

وبلا مقدمات ، او تمهيد ، شعر كل واحد منا ان له في عنق السائق ثأرا ، تعويضا عن لحظات الهلاك التي عشناها في فزع !

واخذ كل منا يقول له ما قدره الله علينا .

وفينا من مد يده اليه يحاول الفتك به .

ونسينا السائق المجنون الذي كاد يذهب بنا الى قرافة الامام الشافعي ، ولم نعد نذكر الا هذا السائق الذي تركنا وحدنا ، حيارى ، لينشغل عنا بعراك سخيف لا معنى له !

اما الترام المنحوس يا ابني ، فقد ظل في ميدان الامام الشافعي خاويا خاليا ، لا يركبه احد !

كالبيت الوقف ، لا يدخله احد ، خوف الجنيات !

لقد رفض الناس ان يركبوه ، قبل ان يستحضروا له سائقا لا يتركه ، ليكوى الطربوش !!

وعندما استحضروا له سائقا قديما ذا تجربة ركبه الناس في حذر !

لكنهم كانوا يرقبون السائق في توجس !

وكانوا متحفزين للنزول من الترام قبل ان ينزل السائق ، ليكوي الطربوش !!

فهرس المطبوعات العربية

يصدر قريبا عن معهد بن تسفي لدراسة الجاليات اليهودية في الشرق ، التابع لمؤسسة ياد اسحق بن تسفي والجامعة العبرية ، «**فهرس المطبوعات العربية التي الفها او نشرها الادباء والعلماء اليهود**» من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٩٧٣ . وقد قام باعداد هذا الفهرس الدكتور شموئيل موريه ، المحاضر في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة العبرية . وهو مقسم حسب المواضيع التي تتناولها الكتب ، وهي ٤٧ موضوعا . ومنها : ابحاث ادبية ، ادب عبري مترجم ، ترجمات ادبية عن الادب الاوروبي والشرقي ، تعليم اللغة العربية والعبرية، تمثيليات مسرحية ، دراسات اسلامية وعربية ، روايات وشعر ، والصحف والمجلات التي نشرها أو حررها اليهود في البلاد العربية ، العرب في اسرائيل ، علم اللغة ، فلسفة ، قصة قصيرة ، قواميس ، مقالات ادبية، ومواضيع اخرى متنوعة .

ويحتوي هذا الفهرس على جميع الكتب التي الفها العلماء والادباء اليهود ، والتي استطاع الدكتور موريه العثور عليها ، بما في ذلك الكتب التي الفها العلماء والادباء اليهود في الغرب باللغات الاوروبية ، وقام بترجمتها العلماء والادباء العرب الى اللغة العربية ، مثل اينشتاين ، جولدتسيهر ، ارثر ميللر ، ماركوزة وغيرهم .

وللكتاب ثلاث مقدمات باللغات العربية والعبرية والانجليزية بالاضافة الى العناوين والفهارس العامة بهذه اللغات الثلاث . وكل مصدر مرقم بترقيم متسلسل ، ليسهل على المطالع مراجعة ما يريد في الفهرس العام للاعلام والناشرين وعناوين الكتب باللغات العربية والعبرية والانجليزية .

ويضم هذا الكتاب مائتين وثلاثين صفحة ونيف ، تحتوي على ٩١٢ مصدرا ، مبوبة حسب المواضيع المذكورة اعلاه . وقد اضيف الى معظم المصادر ملاحظات من المقدمة او من مصادر أخرى تشير الى مضمون الكتاب . كما ان الصحف والمجلات تذكر اسم المحرر وتاريخ صدور هذه الصحف وتاريخ توقفها والمحررين الذين تعاقبوا على تحرير هذه الصحف ، مثل «حقيقة الامر» :

حقيقة الامر ، جريدة اسبوعية (ملحق لجريدة أومر) لنشر مبدأ الاخاء بين الشعبين وتشجيع اتحاد عمال فلسطين. تل ابيب ، ١٩٣٧–١٩٥٩. العنوان العبري :חקיקת אל־אמר, עתון שבועי כתוספת ל„אמר". العنوان الانكليزي : Haqiqat al-amr weekly 'supplement to Omer' صدر العدد الاول يوم الاربعاء ٢٤ آذار ١٩٣٧ في ٤ صفحات. المسؤول : ي. يصيب. [سكرتير التحرير : أ. أغاسي]. ابتداء من المجلد ٤ ، العدد ١ بتاريخ ٢٧ كانون الاول ١٩٣٩ ، اصبح عنوانها : **حقيقة الادر** ، جريدة اسبوعية مصورة (ملحق لجريدة اومر)... ابتداء من العدد ١ ، المجلد ٥ بتاريخ ٢٧ ايار ١٩٤١ : المسئول : شاؤل هرئيلي ، صاحب الامتياز : الشركة التعاونية لعمال اليهود في فلسطين. وبقيت تصدر بحجم جريدة يومية الى العدد ١١ المجلد ١٤ ، ١٩٥٠. ومن العدد١٢/١٣ ، المجلد ١٤ ليوم الخميس ٣٠ آذار ١٩٥٠ اخذت تصدر بحجم مجلة متوسطة الحجم وعنوانها «**حقيقة الامر**» ، المسؤول : ميخائيل اساف. وصاحب الامتياز الشركة التعاونية العمالية للعمال اليهود في فلسطين. وابتداء من العدد الصادر بتاريخ ١٠/٤/١٩٥٣ اخذت تصدر كل اسبوعين مرة واصبح سكرتير التحرير توفيق شموش. توقفت عن الصدور عام ١٩٥٩ وصدرت مكانها مجلة الهدف (انظر الهدف). (د.ك.)

وكما يتضح من هذه اللمحة فان هذا الفهرس يأتي لسد الثغرة العلمية في مدى مساهمة رجال الادب والعلم من اليهود في حقول الثقافة العربية المختلفة طوال قرن ونيف ، وكذلك للتنويه بالتبادل والتعاون الادبي والعلمي بين اللغتين .

ونشير هنا الى أن الدكتور موريه سيصدر بعد هذا الكتاب مباشرة فهرسا للمطبوعات العربية في اسرائيل من سنة ١٩٤٨ الى نهاية سنة ١٩٧٢ . وهذا الفهرس الاخير لا يحتوي على الكتب الدراسية او الكتب العربية التي اعيد طبعها في البلاد ، ولا النشرات الحكومية او العسكرية .

ويأمل الدكتور موريه ان يوافيه الادباء واصحاب دور النشر بقائمة منشوراتهم ليتسنى له اضافة ما نقص من التفاصيل ، الغير متوفرة لسبب او لآخر ، الى الطبعة الحالية ، أو تداركها في الطبعة الثانية .

د٠ شموئيل موريه

طـه حسين

ملاحظات حول شخصيته واسلوبه ومواقفه

طه حسين من اواخر الادباء الموسوعيين الذين قاموا باحياء الادب العربي الحديث ٠ وقد كان اديبا ذا نزعة انسانية ، ومفكرا حرا ناضل في سبيل نشر حرية الفكر في مصر والبلدان العربية،وناصر ابناء الشعب المضطهدين والمعذبين ، ودافع عن كرامة الانسان ، وحارب القيم والتقاليد القديمة والمسلمات التقليدية في دراسة التاريخ العربي والادب العربي القديم ، وادخل مجانية التعليم حين كان وزيرا للمعارف ٠ وقد تجلت نزعته هذه في حوالى ٥٧ كتابا ، بين تأليف او ترجمة او تحقيق ٠ ولم يكن طه حسين متخصصا في ميدان واحد من ميادين الادب اذ لم يتح للادباء الرواد مثل هذا التخصص ٠ لذلك نراه يكتب كتبا تاريخية ونقدية وثقافية ويؤلف الروايات والقصص القصيرة والمقالات السياسية ويشتغل في الصحافة والتعليم والترجمة والسياسة ٠

اشهر كتبه **الشعر الجاهلي** (١٩٢٦) الذي اعاد كتابته ونشره تحت عنوان **في الادب الجاهلي** (١٩٢٧) ، وكذلك كتاب **الايام** (١٩٢٩) وهو ترجمة ذاتية ٠ ومن كتبه الاخرى : رواية **اديب** (١٩٣٥) و **مستقبل الثقافة في مصر** (١٩٣٨) ، و **الفتنة الكبرى** (١٩٤٧–١٩٥٣) ٠

وسبب الضجة الكبرى التي اثارها كتابه **في الشعر الجاهلي** هو انه ادخل اساليب الدراسة الادبية الحديثة في النقد وطبق منهج ديكارت على الادب العربي ، وهو منهج الشك الفلسفي ،اذ قال انمعظم الشعر الجاهلي هو شعر منحول وليس من الجاهلية في شيء ، كما انكر قصة بناء ابراهيم واسماعيل للكعبة وشك في وجودهما التاريخي وانكر كون القراءات السبع للقرآن جاءت عن النبي محمد وان الاسلام كان دين ابراهيم وانه وجد قبل محمد في بلاد العرب ٠ وقد ادى هذا الى اتهامه بالالحاد ، وثارت ضده حملة في مجلس النواب وفي الازهر وفي الصحف ادت الى اجباره على سحب كتابه **في الشعر الجاهلي** من الاسواق وحذف الفصل الذى اثار الضجة ثم نشر الكتاب تحت عنوان **في الادب الجاهلي** وذلك سنة ١٩٢٧ ٠

ورواية **اديب** هي افضل روايات طه حسين اذ تخلص فيها من اسلوبه الفخم الجهوري الخطابي والمصقول وهو يصور لقاء المثقف المصري بالحضارة الاوروبية وما قد يؤدى اليه مثل هذا اللقاء ٠ اما في كتابه **مستقبل الثقافة في مصر** فقد ذهب الى ان مصر لا تنتمي الى الشرق بل تنتمي من الناحية الثقافية والحضارية الى حضارة حوض البحر الابيض اى الحضارة الاوروبية ٠

ومن رواياته **دعاء الكروان** ، وهي رواية رومانتيكية كتبها باسلوب فخم متين لا يناسب الموضوع الرومانتيكي الذى تعالجه كما ان الحبكة هي اكثر ملاءمة للمجتمع الاوروبي منها للمجتمع المصري ٠ وهناك **شجرة البؤس**، وهي من اوائل الروايات العربية التي تتحدث عن اجيال ثلاثة والصراع بينها ٠ والتطور الاجتماعي والاقتصادى والفكرى الذى طرأ على مصر من خلال تطور شخصياتها وحوادثها ٠ وننوه هنا بمقال الدكتور مناحم ميلسون عن هذه الرواية والذى نشر في مجلة «الشرق» في عددها الخاص بالادب العربي الحديث (حزيران – تموز ١٩٧٢) ٠

اما كتابه **الايام** (الذى ترجم الى العبرية سنة ١٩٣٢) فيعد من اروع الترجمات الذاتية التي كتبها الادباء العرب في العصر الحديث ٠ وهو يمتاز بالجرأة والصدق في تصوير المشاعر والاحاسيس لطفل ضرير محروم من العطف والعناية ، وفيه نقد لاذع للاوضاع الاجتماعية الثقافية والدينية في مصر وخاصة في الريف وفي الازهر٠ فهو يتحدث عن طفولته وفقده لبصره والمصائب التي حلت بعائلته ودراسته في الكتاب وفي الازهر ٠ كل ذلك بأسلوب موسيقي رائع بضمير الغائب عن صراعه مع القدر والمجتمع ٠ ومن الجدير ان نشير الى ان طه حسين وضع هذا الكتاب في سنة ١٩٢٦ ونشره في «الهلال» ، وذلك بعد الحملة العنيفة التي ثارت ضده بعد نشره لكتاب في الشعر الجاهلي ٠ ولعله اراد ان يظهر ان المجتمع حاربه الى جانب القدر الذى افقده بصره منذ طفولته ٠

واسلوب طه حسين يتميز باعتماده على حاسة السمع واللمس والشم اكثر من اعتماده على البصر ٠ ففي **الايام** نقرأ : «اجتمعت شخصية الصبي كلها حينئذ في اذنيه وانصت ٠ ماذا يسمع ؟ يسمع صوتا خافتا هادئا رزينا ملؤه شيء **قل** انه الكبر او **قل** انه الجلال ، او **قل**

انه ما شئت • ولكنه شيء غريب لم يحبه الصبي» • وفي مكان آخر : « فاذا تجاوز هذا الباب احس عن يمينه حرا خفيفا يبلغ صفحة وجهه اليمنى ، ودخانا خفيفا يداعب خياشيمه ، واحس من شماله صوتا غريبا يبلغ سمعه ويثير في نفسه شيئا من العجب» •

وهو يعتمد على التكرار والطباق والجناس والمقابلات بانواعها ـ مقابلة التوافق والتضاد والتدرج والتكامل ، وتكرار الكلمات ومرادفاتها واوزانها ، مما يولد ايقاعا جميلا يشبه ايقاع عصاه على الارض ، وفيه شيء من التردد والشك ، وفيه الاكثار من استعمال المفعولات المطلقة • يقول في **الايام** : « لذلك كان يقضي الليل **خائفا مضطربا** الا حين يغلبه **النوم** ، وما كان يغلبه **النوم** الا قليلا • كان يستيقظ مبكرا ، او **قل** كان يستيقظ في السحر» • وفي **اديب** : «وكنا نقدر دائما انه اذا وثب من **موضوع** الى **موضوع** او قفز من حديث الى حديث ، فلن يعود الى الموضوع الذي وثب منه ولا الى الحديث الذي تجاوزه ولكنه كان يقهرنا دائما فلا ينسيه موضوع موضوعا ولا **يشغله حديث** عن **حديث**» •

وفي هذا التكرار والتأكيد والشك والاستدراك نشعر ان المؤلف يحاول جمع افكاره وتنسيق جملة ونشعر بان صاحبه يملي حديثه املاء • ولكن اسلوبه الضخم الحاد الايقاع الذي يكثر من التوازن والتوافق والتضاد والتدرج يجعله اسلوبا فخما ثقيلا يرسف في قيود البديع ولا يلائم المواضيع الرومانتيكية التي عالجها في كثير من رواياته وقصصه •

× × ×

تكمن عظمة طه حسين في كونه شخصية فريدة في تاريخ الادب العربي لا تضاهيها سوى شخصية ابي العلاء المعري • فقد استطاع بذكائه الخارق وشخصيته القوية ان يحصل على اول دكتوراة في الادب في اول جامعة في مصر وان يرسل في اول بعثة دراسية لهذه الجامعة الى اوروبا وان يتفوق في دراسته ويعود الى بلاده بعد ان درس لغات اوروبية حديثة وقديمة • ثم شغل المناصب العلمية وخاض معارك فكرية وسياسية وادبية ودافع بصلابة لا تعرف اللين عن آرائه حتى بلغ منصب وزير المعارف ، والاهم هو منصب عميد الادب العربي في العالم العربي ، كل هذه الامور جعلت المثقفين يتعاطفون معه ويقدرونه ويحترمونه • فقد رأى فيه الشباب العربي الناهض دليلا على مقدرة الانسان المصرى والعربي على التفوق في مجال العلوم الغربية وتطعيم التراث العربي بها ،دون الشعور بالنقص امام الغرب • وقد كان طه حسين اول من دعا الى حرية الفكر وحرية البحث العلمي في البلاد العربية وتحريره من قيو دالدين والتقليد ، ودعا الى دراسة الادب اليوناني ، واثار في مقالاته وكتبه الحياة الراكدة في الادب العربي واجبر المقلدين والادباء المجتدين بآرائه الجريئة على مراجعة المصادر وكتابة الكتب للرد عليه • ثم انه اثار اول معركة بين القديم والحديث في دراسة الادب العربي والتاريخ العربي ومهد للحرية الفكرية وحرية البحث الادبي ، واستطاع استيعاب الفكر الاوروبي وتطبيق نظرياته بجرأة على الادب العربي •

اما موقف طه حسين من السلطات المصرية ففيه مد وجزر • فقد كان في مطلع شبابه وبعد عودته من دراسته في اوروبا عام ١٩١٩ من انصار القصر ، ومن مناوئي سعد زغلول والوفد ، وذلك اعترافا منه بالجميل الذى صنعه معه السلطان فؤاد انذاك ، اذ ناصره في خصومته مع الجامعة المصرية • كما انه اهدى للسلطان فؤاد كتابه **صحف مختارة من الشعر التمثيل اليوناني** الذي نشره عام ١٩٢٠ • ثم انه ناصر وزارة عدلي باشا وحزب الاحرار الدستوريين في مطالبتهما باستقلال مصر بين عامي ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ ، وحارب السعديين وتقدهم نقدا لاذعا في الصحف الموالية للقصر، وبعد التقارب بين السعديين وبين الاحرار الدستوريين بسبب محاولة ثروت باشا وضع دستور ديمقراطي ـ هاجم طه حسين القصر • وهكذا وقع بين نارين وعاداه كل من السعديين والاحرار الدستوريين • وعندما عين في عام ١٩٢٨ عميدا لكلية الاداب رفض علي الشمسي وزير المعارف الوفدى الموافقة على تعيينه الى ان اقيلت الوزارة الوفدية وعين في ١٩٣٠ عميدا لكلية الاداب • ولكنه حينما حاولت الحكومة المصرية منح درجة دكتوراة فخرية لاربعة من السياسيين المصريين رفض طه حسين منح هذه الدرجة لهم حفاظا منه على مكانتها ، لذلك نقل الى وزارة المعارف فرفض قبول هذا النقل عند ذلك احاله صدقي باشا ، رئيس الوزارة المصرى انذاك ، الى التقاعد • وبعد التقارب بين السعديين والاحرار الدستوريين اخذ يحرر في جريدة «السياسة اليومية» ، وترل في عام١٩٣٣ عند طلب مصطفى النحاس وحرر جريدة «كوكب الشرق» الوفدية • ثم حرر جريدة «الوادى» الى نهاية عام ١٩٣٤ • ثم اعيد الى كلية الاداب واصبح عميدها مرة اخرى عام ١٩٣٦ • وحين عاد الوفد الى الحكم عام ١٩٤٢ اصبح مستشارا

البرتو مورافيا

شيء اسمه الحر

ترجمة : اديب شاكر

عندما يجيء الصيف تعتريني رغبة ملحـــة في ان ينصرم بسرعة ! ٠٠ ربما كان ذلك لانني ما أزال شابا ، ولم اروض نفسي على حقيقة انني زوج ٠٠ ورب أسرة !

ففي الصيف تغلق النوافذ صباحا في بيوت الاغنياء ، فيتخلف هواء الليل البارد في الحجرات المتسعة ٠٠حيث المرايا اللامعة والارضية الرخامية والاثاث الصقيل ٠٠ تتلألأ في ضوء خافت ! ٠٠ كل شيء يوجـد حيث يجب ان يكون ٠٠ نظيفا ، مرتبا ، ولامعا ! ٠٠ حتى الصمت هناك بارد ومريح !

فاذا ما شعرت بالعطش ، فستجد من يحضر لـــك شرابا لذيذا او عصيرا مثلوجا في كاس بلوري ٠٠ تحدث قطع الثلج الصغيرة فيه ـ حين تحركها ـ صوتا مرحا ٠٠ هو ـ في حد ذاته ـ منعش !

ولكن الامر جد مختلف ٠٠ في بيوت الفقراء !

ففي اول يوم حار ، يقتحم الحر اللافح حجراتـــك الصغيرة الخانقة ! ٠٠ وحين تحتاج الى ان تشرب تجد الماء الذي يجيء من حنفية المطبخ ساخنا ٠٠ كانـــه حساء ! وقلما تستطيع ان تتحرك داخل البيت ، فكل شيء ٠٠ الاثاث ٠٠ الملابس ٠٠ الادوات المنزلية ٠٠ تبدو وكانها تكبر وتكبر وتسقط على راسك !

وسرعان ما تغدو الملابس مبتلة بالعرق والرائحة ! ٠٠ وتكاد تختنق اذا ما اغلقت النوافذ لان هواء الليل لم ينجح في النفاذ الى هاتين الغرفتين او الثـلاث التـي ينام فيها ستة اشخاص ! ٠٠ اما اذا فتحت النوافذ ، فانك تتعرض لاكبر قدر من اشعة الشمس ـ وكانك في الشارع ـ ومن كل شيء تنبعث رائحة المعـــدن الساخن المحمر ٠٠ والعرق ٠٠ والغبار !

وفي ايام الحر ، تغدو اخلاق الناس حارة كذلك ! ٠٠ أعني انهم يصبحون اكثر ميلا للشجار ٠٠ وهذا ما حدث معي ٠

ففي أحد ايام الحر هذه ، اشتبكت في منازعات ٠٠ مع جميع افراد العائلة ! ٠٠ مع زوجتي لان الحساء كان مالحا ٠٠ وشديد السخونة ! ٠٠

مع صهري لانه جلس الى جوار زوجتي وهو ـ حسب ظني ـ ما لا يحق له ان يفعله ٠٠ خاصة وانني اعوله لكونه لا يعمل ٠٠ !

مع اخت زوجتي لانها تدافع عني ٠٠ وهذا ما يثير الاشمئزاز في نفسي ، لانني أعلم انها تفعل ذلك لتوقعني في حبائلها ما دام انها تحبني !

مع امي لانها حاولت ان تهدئني ٠٠ !

مع ابي لانه احتج قائلا انه يريد ان يتناول طعامه في هدوء وسلام !

وحتى من ابنتي الصغيرة ٠٠ لانها انفجرت في البكاء!!

ولذا ، وعلى حين غرة ، قفزت واقفا ، وتناولـــت معطفي من على المقعد ، وقلت بكل بساطة : «اصغوا الي الان ٠٠ لقد نلت ما فيه الكفاية منكم جميعا ٠٠٠ ولذا ، وحتى شهر اكتوبر القادم حين يبرد الطقس ٠٠ استودعكم الله !٠٠ »

وخرجت من البيت، وركضت خلفي زوجتي المسكينة، واخذت تناديني من أعلى الدرج ٠٠ وتغريني بالعودة ٠٠ خاصة وانها اعدت لي سلطة الخيار ٠٠ التي احبها ! ٠٠ ولكنني اخبرتها ان تاكلها هي ! ٠٠

وانطلقت الى الشارع ، واخذت أسير على غير هدى الى ان وصلت الى الجسر الحديدي الملاصق لمرفا روما النهري ٠٠

كانت الساعة الثانية ٠٠ أحر وقت في النهار ، وبدت السماء زرقاء مسودة ٠٠ كعين متورمة !

وعندما وصلت الى الجسر ، استندت الى الحاجـــز الحديدي الذي كان بدوره ساخنا ، وبدا نهر التيبـــر المحصور بين المراسي عند اسفل جوانبه الشديـــدة الانحدار مثل مجرى مكشوف للفضلات ٠٠ بلونـــه الموحل ! ٠٠ بينما بدا صهريج الغاز مثل هيكل عمارة بعد شبوب حريق فيها ! ٠٠ اما افران معامل الغاز وابراج مستودعات تخزين العلف والخضار ، وانابيب خزانات البترول ، وسطوح محطة الطاقة الكهربائية

المدببة فقد حجبت الافق بشكل يجعلك تظن انك لست في روما ٠٠ وانما في أحدى المدن الصناعية ٠٠ في الشمال!

ووقفت لفترة من الزمن انظر الى التيبر ٠٠ التيبر الصغير الاصغر ٠٠ حيث يرقد الى جوار المرسى مركب محمل باكياس الاسمنت ! ٠٠ ولم استطع ان امنع نفسي من الضحك ٠٠ على فكرة ان هذا المرسى الصغير يسمى نفسه مرفأ ! ٠٠ تماما كمرفأ جنوا ونابولي ٠٠ التي تزدحم بالسفن ٠٠ من مختلف الاحجام !

وفكرت ان اتجه الى مكان هادىء ٠٠ اجلس فيه واتناول سمكا مقليا ٠٠ على مرأى من البحر ! ٠٠ فتحركت عابرا الجسر ومتجها نحو ارض مكشوفة واسعة تقع على الجانب الاخر للنهر ٠٠ ولم ادر الى اين اتجه ، فسرت في البداية على طول طريق معبد تجري عبر اراض جرداء تنتشر فيها الخردوات والنفايات ٠٠ ثم ما لبثت الطريق ان اصبحت ممرا ترابيا ضيقا ، وتكاثرت النفايات على جانبيه لتغدو اكواما عالية تماما كتلال صغيرة ! ٠٠ وادركت انني قد ضللت طريقي ٠٠ الى هذا المكان الذي يفرغون فيه ٠٠ جميع نفايات روما ! ٠٠ التي تفوح منها رائحة حمضية كريهة ! ٠٠

وشعرت انني ضائع ومرتبك ! ٠٠ ولم تعد لدي رغبة في التقدم ٠٠ كما لم أشأ ـ في نفس الوقت ـ ان اعود ادراجي ٠ وفجأة ! ٠٠ سمعت صوتا ادميا شبيها بذلك الذي تحدثه حين تدعو كلبا ٠

وتلفت حولي ابحث عن الكلب ، ورغم أن ذلك المكان ـ بكل تلك الاكوام الهائلة من النفايات المتآكلة المتعفنة ـ يصلح للكلاب الضالة ٠٠ الا انه لم يكن هناك اي كلب !

ولذا فكرت ان احدهم ربما كان يدعونني ٠٠ فنظرت باتجاه مصدر الصوت ٠٠ وحينئذ رأيت ـ خلف اكوام النفايات ـ كوخا صغيرا ، لم الاحظه من قبل ، له سقف من الحديد المضلع ٠

وهناك عند الباب ، كانت تقف فتاة صغيرة ٠٠ شقراء الشعر ٠٠ في نحو الثامنة من عمرها ٠٠ تشير باصبعها الي ٠٠ كي ادخل ! ٠٠ ونظرت اليها ٠٠ كان لها وجه ابيض متسخ يحمل اثارا ارجوانية تحت عينيها ! ٠٠ بينما كان يعلق بشعرها الكثير من القش والياف الصوف الناعم والغبار ٠٠ مما جعل رأسها يبدو منتفخا ٠٠ كطائر الحداة ! ٠٠ وكان ثوبها بسيطا عبارة عن كيس من الخيش ، فيه اربع فتحات ٠٠ اثنتان لليدين ٠٠ واثنتان للرجلين !

وسألتني في اللحظة التي استدرت فيها : هل انت طبيب ؟

واجبتها : «لا ، لماذا ؟ هل تحتاجين الى طبيب ؟»

فقالت : «ادخل اذا كنت طبيبا ٠٠ فامي مريضة» ٠

ولما كنت غير راغب في المضي في محاولة اثبات انني لست طبيبا ، فقد دلفت الى الكوخ ! ٠٠ وشعرت للوهلة الاولى انني داخل حانوت لبيع الملابس القديمة ! ٠٠ فكل شيء يتدلى من السقف ، ملابس ، جرابات ، احذية ، اوعية منزلية ، وخرق بالية ! ٠٠ فادركت ان هذه متاعهم معلقة على مسامير ٠٠ اذ لم يكن هناك أثاث !

وتحركت أبحث عن الام ، وانا احني رأسي تجنبا لتلك الاشياء المعلقة ، فاومات الفتاة الى كومة من الخرق في احدى الزوايا ٠٠ وبدت لي عين تحدق بي من خلال كومة الخرق تلك ٠٠ اذ كانت العين الثانية تحجبها ٠٠ خصلة من الشعر الاشيب !

واخذت بمظهر المرأة ٠٠ فرغم انها كانت تبدو كعجوز ٠٠ الا انه يمكن القول انها ٠٠ شابة !

وحالما رأتني ، قالت : «اذن فقد التقينا ثانية ؟»

وانفجرت الطفلة في الضحك ٠٠ وكان ذلك كان بداية عرض مسل ٠

قلت : في الحقيقة ، انا لا اعرفك ٠ ما قصتك ؟ ٠٠ وهل هذه الفتاة الصغيرة هي ابنتك ؟»

وأجابتني المرأة : «بالطبع انها ابنتي ٠٠ وابنتك ايضا !! »

وضحكت الطفلة ثانية ، ولنفسها ، وظننت أن الامر كله مجرد مزاح ، فاجبتها : «ربما ، ولكنها كذلك ابنة رجل اخر !»

ـ «لا» هتفت المرأة وهي تنهض عن الارض ، واكملت وهي تصوب اصبعها نحوي : «انها طفلتك انت ٠٠٠ وليست طفلة رجل اخر !! ٠٠ محتال ، جبان ، تافه ٠٠ هذه هي حقيقتك ! ٠٠»

قلت مغتاظا : «كوني حريصة في أقوالك ٠٠ فقد سبق واخبرتك انني لا اعرفك ! »

ـ «اذا كنت لا تعرفني ٠ ٠فكيف عرفت الطريق الى هنا ؟!»

وشرعت الطفلة ترنم بخفوت : «محتال ٠ ٠ جبان»

وتفصد مني العرق ٠٠ بسبب الحرارة الخانقة من جهة ، وبسبب هذه المضايقة من جهة اخرى !

قلت : «لقد كنت مارا من هنا ٠٠»

صرخت : «لن تستطيع خداعي ! ٠٠» والتفتت الى الطفلة وامرتها قائلة : «اعطني الحقيبة» ٠ وفي حركة سريعة ، انزلت الطفلة من السقف ، حقيبة يد من القطيفة السوداء ٠٠ بالية ومتسخة وناولتها لامها ٠٠ ففتحتها واخرجت منها صفحة من الورق وهي تهتف : «هذه هي شهادة الزواج ٠٠ أمازلت تنكر يا ٠٠ ارنستو رابيلي !؟»

وفوجئت بحقيقة كون اسمي الاول ارنستو! ٠٠ فقلت وانا اشعربشيء من الانزعاج :«ولكنني لا ادعى رابيلي!»

هبت المرأة واقفة وهي تقول : «اذن فأنت لست رابيللي !؟»

واقتربت مني ، وبداها على وسطها ، كان تخميني صادقا بانها شابة ، فعلى الرغم من الشعرات الرمادية والتجاعيد ونقص الاسنان ٠٠ كان واضحا انها لا تزيد عن الثلاثين ٠ ثم حدقت بي وصرخت : «انت رابيللي ٠٠ وأمام الله والناس ٠٠ اقسم أنك رابيللي !٠٠»

أجبت : «لقد فهمت الان ، وارى انك لست على ما يرام ٠٠ واذا لم تبالي ، فانني سأذهب»

ردت : «ليس بهذه السرعة !٠٠»

وفي هذه الاثناء ، كانت الطفلة ترقص من حولنا ٠٠ وهي في غاية الانشراح ! ٠٠ واكملت المرأة في تهكم لاذع: «أرنستو العظيم ٠٠ يا من هجرت زوجتك وهربت من البيت ٠٠ الا تعلم على ماذا كنا نعيش خلال هذا العام الذي كنت فيه بعيدا ؟! »

قلت بحدة : «لا اعرف ٠٠ ولا اريد ان اعرف ٠ ٠ دعيني أذهب» ٠

وصرخت في الطفلة : «اخبريه انت ٠٠ اخبريه على ماذا كنا نعيش ٠٠ اخبري اباك !٠٠»

فردت الطفلة في مرح ، وبصوت منغم ، وهي تقترب مني بدورها : «على الصدقة» ٠

واعترف انني بدأت اشعر جديا بالضيق ! ٠٠ كل هذه المصادفات : اسم ارنستو ٠٠ وحقيقة انني تركت بيتي ٠٠ وان لي ايضا زوجة وطفلة ! ٠٠ كل هذه وتلك اورثتني شعورا غريبا غامضا ٠٠ عن حقيقة هويتي !

ورأت المرأة ترددي ، فصرخت بي : «انت تعرف ماذا يحدث للرجال الذين يهجرون زوجاتهم واطفالهم !؟ ٠٠ السجن ! ٠٠ هل تفهم ايها الوغد ؟ ٠٠ السجن ؟»

انتابني الفزع ، وبدون ان اتفوه بشيء ، استدرت نحو الباب لاخرج ٠٠ فوجدت عند عتبته ٠٠ امرأة نحيفة !

وحين رأت ارتباكي ، قالت لي : «لا تهتم لكلامها ٠٠ فهي تعتقد ان كل رجل تراه هو زوجها ! ٠٠ وتتعمد الفتاة اغراء كل من يمر من هنا بالدخول ٠٠ لمجرد اللهو بسماع صراخ امها ٠٠ يا للصغيرة الشيطانة ! ٠٠»

ورفعت يدها ، وكأنما لتصفع الطفلة ، الا ان هذه انفلتت بسرعة ، وبدأت ترقص حولي مرددة في نشوة: «لقد صدقتها وكنت خائفا ٠٠ ألم تفعل !؟ »

وقالت المرأة النحيفة بهدوء مخاطبة الام : «الفيرا ٠٠ ليس هذا بزوجك» ٠

وبدا كأن الام صدقت ما قيل لها ، بينما مضت الاخرى تقول مفسرة : «انني انا التي اعد لهما ما تأكلانه ٠٠ وهما بالفعل تعيشان على الصدقة ٠٠ ولكن زوجها لم يهرب ٠٠ لانه ميت !»

وكان معي الكفاية من النقود ، ولذا تناولت من جيبي مائة لير ، واعطيتها للطفلة ، ٠٠ فاخذتها دون ان تتفوه بكلمة شكر ! ٠٠

وغادرت الكوخ متجها نحو الجسر ٠٠ ثم عائدا الى بيتي !٠٠

وبدا لي بيتي عند دخوله ــ وبعد حر ذلك الكوخ ــ كأنه كهف بارد ! ٠٠ ومع ان القطع القليلة من اثاثنا كانت من نوع متواضع ٠٠ فقد كانت افضل بكثير من الامتعة البالية التي كانت ٠٠ تتدلى من المسامير !!

ومع ان الطعام كان قد رفع من على المائدة في المطبخ، الا ان زوجتي بادرت بتقديم سلطة الخيار التي ابقتها لي ، فالتهمتها مع بعض الخبز ٠٠ وانا ارقب زوجتي وهي تقف عند حوض المغسلة تغسل الاطباق والسكاكين والشوك ٠ ثم نهضت واختلست منها قبلة خلف عنقها ٠٠ وبذا استقر السلام بيننا !

وبعد عدة ايام ، اخبرت زوجتي بقصة الكوخ ، وقررت ان اعود الى هناك لارى اذا كان بالامكان عمل شيء بالنسبة للفتاة الصغيرة ٠٠ ولم اعد اخشى الان ان اعامل وكأنني ٠٠ ارنستو رابيللي !

ولكن هل تصدق ؟

لم أجد ايا من الكوخ أو المرأة او الطفلة ٠٠ وحتى المرأة النحيفة الاخرى التي تطبخ لهما الطعام !! ٠٠ لقد تحولت في ذلك المكان زهاء ساعة ، تحت اشعة الشمس اللاهبة ، وبين اكوام النفايات ٠٠ وحين اخفقت ٠٠ عدت ثانية الى البيت !

ولعل أبسط فرض لذلك هو ان اكون قد فشلت في سلوك الطريق الصحيح ٠ وعلى كل حال ، فان زوجتي تقول انني قد اخترعت القصة ٠٠ بدافع من تأنيب الضمير ٠٠ حين فكرت في هجرها !!

ادمون شحادة

ثلاث قصائـــد

مزمور للمداولة

ـ الى الرب الجديد
في عالم المواد والتفجر ـ
اكتب وصيتي كيفما أحسن ،
نبراسا تكون صلواتي
«بردا وسلاما» للصالحين .

ثقيلة ماساتي
وذاكرتي لا تعي
لكثرة الثقوب والعطب
في تاريخي المتلالىء الاوراق
وبسمة الزمن وصمة
على جبين الخوافين .

سئمت «المشاوير» التي لا توصلني ،
انا الراكض فوق فوهات البراكين
مثلث الجوانب .. والابعاد ،
وجموع المنافقين ، والقبعات اللامعه
ترمقني بصلف أكاديمي
الى الرماد فلتنظروا .. الى رافعات الصخور
ومداخن المعاجم والمعادلات
على الرفوف مكدسة
بارتخاء زمني
الى ما قبل النهاية .

الالهة تضغطني ، والطبيعة
تناديني .
الحاكم الذي يظللني
يابى علي فتح صدري
وتعريض تجمعــات عشبــه
للاشعة الكونية .

تعبت قدماي من مزاولة التسكع
واطرافي تيبست على جفاف الالسنه
تحتك بـــي
تراودني عن نفسية متفتحه
فابصق الحصى
اخلط «السموات بالعموات»
والعن كل ما تطاله أصابعي .

على مداخل الآبار المحشوة
بالثعابين .. أحاور الخطيئه
أتلو مع الفجر الفجري
تراتيل الاسبقين ،
أتدحرج على المسامير الهنديه
فوق خشب الابنوس .. أتدثر
بمعلوماتـــي ،
أحب الاشياء بخفر ربيعي
واحن الى ما لا استطيع .

انه ما يزال هنا .. وهناك
بلا ارض بلا لؤلؤة ،
يتغنى بمحاسنها ..
ما يزال صديقي الميت
يرسم على وجهه
أزهار الاكاليل الملونة
ويسير خلف الريح والغبار .

بعيدا في البحور الغريبه
في الجداول الامازونيه
تغتسل التماسيح ،
وأرامل الحجاج
ترقص .. تتمرغ
عند رمال الشاطىء الفضي
وارتعاشات الجسد المحموم
تخاف مناظر العشاق
وبحلقات الالسن الخشنه
في دوائر الشخير والنعاس

هلال يطل علينا
هلال يغيب في السماء
والعيون المغموسة بالمخدرات
ترمق الافق الذي لا يلين .
الارض ما زالت تنبت
الكلمات ، والاشجار ،
وابن البشر يحتوي
تراب الارض .. ونار الازليه .

في انتظار اليوم .. والمسيرة
كم انادي .. واصلي

كم اطلب ، ان «يبعد عني الكاس»
لكني دون جدل او مناقشة
دون مقاومة .. استسلم
ساعة المخاض ،
وساعة الغروب .

هوامش على قلعة الجفاف

عاشق اسكن في قصر المماليك
واخشى صبواتي
عاشق ارتد في الصحراء رملا
ناشفا والنار تحتي ،
وعلى درب المخاض
رمت العينان سحر الشرق ..
في وجهي
واعدت ساحراتي
لعب الاطفال .. حلم العرس ..
والاشبين لا يشفع لي عند مماتي
وسيوف الحرس الملعون ، سدت خطواتي .

لا المزامير هدتني
لا الخطايا انقذتني
لا الحروب المستمرة
في قرى السهل .. ومن فوق الجبال
انهت الاحزان
والامال ما كانت لتبني
اي بستان معلق ،
وغصون الشجر الممتد في بيارتي
لم تعد تحمل اوراقا وزهرا .

عاشق والله في ارض العمالق
وحبيبي
مفرغ الرؤية مشحون
بخوف الجند .. مشدود الاصابع ،
وعلى الاسطح في عرض الافق
تحرس الالغام صمتي ،
والمدافـــع .

عاشق اني تلفت
ار وجه الغضب
عالقا فوق المرارات الجديده ،
وعناقيد العنب
كلما نامت بصدري
وارتمت في غفلة اللذات تستجدي الحنين

فجر الحب خلاياه العديده
وتاوهت .. ولكن
لم ازل ابحث عن نبع السعاده .

مشاهد من مسرحيـــة «النحيب»

[الفجيعة كانت حين اتكا
القناع على وجه الممثل ومات]

لم يعتمر عمامة «الحجاج»
او يخطب الناس على المنابر
لم يحمل الوديعه
او لوحة الافراج .

كان الغلام عند مدخل المغائر
يخاطب السحب
لم يدر ان من امامه
قد مرت الجدود
والخيل من خشب
لم يدر ان امه
قد باعت الربـــوع
من اجل جرعة من الشراب .

[حصان طرواده لم يقترف الذنوب
حين مات «بطركل» هز المشاعر
ولبس «اخيل» الدروع]

صاحت جنود الارخبيل ،
وكانت الابطال في المقدمه
على الروابي اشعلوا النيران
تحررت «هيلين»
وحين عاد «يوليسيس»
كانت تحيك الثوب ،
زوجته المدلله
وقطع الاطراف والوجوه ..
«يوليسيس»
ونام في سرير «بنلوب»
من دون ان تمس قلبه الحراب .

[حين تحركت القطع
الشطرنجيه ، تنحنح
اللاعب ، واستل قلمه
ليسجل الحركة القادمة]

«اشبيليه» !؟
يا زهرة المدائن الخضراء

يا لوعة الحنين والغناء
حين السباع اندفعت
من جوفها المياه
في القاعة الحمراء ،
تاوهت عشيقتي
«غرناطة»
ورضيت بلمستي
حتى ولو اصابعي المحترقه
لا تحسن العناق .
[وانفرج الستار عن
المشهد المريب
وكان «عطيل» قد غرز السيف
في قلبه ، ليثار «لديدمونه»]

الموت في شطآننا
مسطح الاحجام
والموعد القادم من بحر الظلام
يخيفنا
لاننا لا ننثني
لا نحسن الايلام
فلتغلق المسارح الابواب
وليذهب الممثلون في العدم

[النافذة المفتوحة
على الرياح الغربيه
ازعجت الحضور
فالغوا العرض من جديد]

طـه حسـين ـ تتمـة

لوزير المعارف ، ثم عميد جامعة الاسكندرية حتى اواخر ١٩٤٤ . ولما سقطت الوزارة الوفدية عام ١٩٤٤ احيل الى التقاعد مرة اخرى وقد عرقلت الحكومة نشر مجلته «الكاتب المصرى» حتى اوقفتها عن الصدور عام ١٩٤٨ ، كما انها منعت صدور كتابه **المعذبون في الارض** في مصر فنشره في بيروت في نفس العام . كما ان سري باشا عارض تعيينه نقيبا للصحافيين عام ١٩٤٩ . وفي مطلع عام ١٩٥٠ ، حين فاز الوفد في الانتخابات عين طه حسين وزيرا للمعارف وفي عام ١٩٥١ نال من الملك فاروق رتبة الباشوية لجهوده في سبيل التعليم والثقافة اذ دعا الى مجانية التعليم الثانوى . وقد ترك الوزارة الوفدية يوم اقالتها في السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٢ ، يوم حريق القاهرة .

اما بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢ فانه بالرغم من كونه وزيرا وفديا سابقا لم يعارضها بل مدح انجازاتها، ولكنه اكثر من نقد الادب المصري بعد الثورة ورماه بالجمود . وقال عن الثورة المصرية بانها ثورة سياسية سبقت الثورة الفكرية ، وان ادب الثورة في مصر لم يظهر بعد لان وقته لم يحن ، وذلك الى ان يظهر الشباب الذين تطبع الثورة نفوسهم بطابعها . ويرى ان ادب الثورة سيكون ادبا جيدا مغايرا للادب الذى انتجه جيل ما قبل الثورة لان جيل الثورة تخلص من النظام الملكي الذى استأثر بالحكم دون الشعب وسوف لا يحتاج الى التكتم واستعمال المجاز والالغاز في كتابته . كما ان هذه الجيل الجديد سوف يتخلص من النظام الاقتصادى الذى يقسم الناس الى طبقتين مختلفتين ـ الغنية والفقيرة . ويقول « ان ادب الثورة .. انما هو الادب الذى سينتجه ابناؤنا واحفادنا حين يتاح للثورة ان تبلغ غايتها وتحقق اغراضها وتتيح لهم [للمصريين] حياة اخرى لا يجدون فيها قهرا ولا عسفا ولا يخضعون فيها لبأس او ظلم ، ولا يشقون فيها بفقر او جهل او مرض .. » . ثم يستطرد قائلا : « فلست انا من السذاجة بحيث اظن ان الثورة ستتيح للاجيال المقبلة سعادة دائمة ونعيما مقيما » .

وقد بقي متحفظا من الثورة لم يتملق لها ولم يصفق لها ويهلل كما فعل ادباء اخرون كانوا قد خدموا الملك سابقا . بل كان في مدحه لانجازات الثورة بما تستحق ودون مغالاة . وقد ظل الشباب والمثقفون في مصر ينظرون اليه نظرة اكبار واعجاب ، نظرة التلميذ الى استاذه ، فاكرموه عند بلوغه السبعين باصدارهم كتابا في هذه الذكرى . كما عين في المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، وبقي عضوا في المجمع العلمي والمجمع المصري وعضوا مراسلا لعدة مجامع خارج مصر .

اما موقفه من اسرائيل فقد كان متحفظا ايضا ، ولكنه موقف فيه الكثير من الاحترام . ولم يطلق العنان لقلمه ولسانه كما فعل اخرون في نقد اسرائيل وكيل الاتهامات لها . بل نراه يمتدح الابحاث العلمية وجهود المستشرقين الاسرائيليين في الجامعة العبرية . وذكر ان اول ترجمة لكتابه **الايام** كانت الترجمة العبرية التي قام بها الاستاذ مناحم كابليوك .

جيمس جولدكوزنر

خطأ كتابـــي

ترجمة : اديب شاكر

من الباب المطل على الشارع ، كانت تنحدر ثلاث درجات الى حيث يمتد المخزن ضيقا ومنخفضا بـــين الجدران المكدسة بالكتب ، الى مسافة ستين او سبعين قدما تؤدى الى مكتب صغير مرتب ٠٠ حيث يعمـــل رجل ضخم شاحب اللون تحت مصباح مكتب مظلل ٠

ولدى سماعه الباب الخارجي يفتح ، رفع رأسه وحدق برهة باتجاهه خلال نظاراته ، وما ان رأى سيدا نحيلا منتصب القامة بشارب دقيق ابيض يقف مترددا امام المنضدة التي تحمل لافتة : « اى كتاب بـ ٥٠ سنتا » حتى عاد الى النسخة المطوية من نشرة دينيـة اسبوعية موضوعة على المكتب امامه ٠ وعاود النظـر الى قائمة الموتى ، ثم سحب ورقة وسجل ملاحظة عليها ٠ وعندما انتهى من ذلك ، رأى ، عندما رفع رأســـه ثانية ، ان السيد بالشارب الابيض قد اجتاز مسافة المخزن كلها ٠

فبادره قائلا وهو يدفع اوراقه جانبا : « نعم يـــا سيدى ؟ هل من خدمة استطيع تأديتها لك ؟ » ٠

فحدق فيه الرجل ذو الشارب الابيض بامعان وقال: « هل اخاطب صاحب المحل السيد جوريث ؟ »

ـ « اجل يا سيدى انك تفعل » ٠

ـ « حسنا اذن ، اسمي انغالـــز ٠٠ الكولونيل انغالـــز » ٠

ـ « انني سعيد بمعرفتك ايها الكولونيل ، مـــاذا استطيع ان ٠٠٠ »

ـ « انني ارى ان الاسم لا يعني شيئا بالنسبة لك ؟ »

فنزع السيد جوريث نظاراتـــه ، ونظر بتفحص : « اخشى ان يكون الجواب لا ٠٠ انغالز ٠٠ لا ٠٠ لا اعرف احدا بهذا الاسم » ٠

فدس الكولونيل انغالز عصاه تحت ابطه ، وسحب من جيبه الداخلي مظروفا اخرج منه صحيفة من الورق، نشرها ، ثم قذف بها الى المكتب وهو يقول : « ربما ستنعش هذه ذاكرتك » ٠

جذب السيد جوريث انفه برهة ، ورشق الكولونيل انغالز بنظرة قاسية ، ثم اعاد وضع نظاراته ، وهتف ـ حين امسك بالورقة : « آه ، قائمة حساب ٠٠ اجل ، يمكنك ان تعذرني فانا اقوم بجانب كبير من عملـــي عن طريق البريد ومع اناس لم التق بهم قط ٠٠ الدكتور الفاضل غودفرى انغالز ، ابرشية القديس يوحنا ٠٠ آه، اجل ، اجل ٠٠ لقد تذكرت ٠٠ »

ـ « الدكتور انغالز المذكور كان اخي ، وهذه القائمة هي ، دون ريب ، خطأ كتابي ٠٠ اذ لا يمكن ان يكون اخي قد طلب او تسلم او حتى رغب في قراءة اى مـــن هذه الكتب ٠ وكان من الطبيعي ، الا توجد مثل هذه الكتب بين مخلفاته » ٠

فهمهم السيد جوريث قبل ان يعاود قراءة قائمـــة الحساب بكافة بنودها ، وسعل في شيء من الارتباك ثم قال : « دعني ادقق سجلاتي لحظة » ٠ وتناول سجـلا كبيرا مهترئا من الرف امامه ، واخذ يغمغم وهو يبحث عن الحرف الاول من الاسم الى ان عثر على اسم انغالز ٠

فعلق الكولونيل انغالز : « لا داعي لذلك ، فهـــي بالطبع غلطة ٠٠ غلطة فريدة في نوعها ـ كما يبدو لي ، ولذا انصحك ان تكون اكثر دقة ، اما اذا اخترت ان تنقص من قدرك بالغش في اعمال بيع من هذا النوع فهذا شأنك ٠ ولكن ٠٠٠ »

فهز السيد جوريث رأسه عدة مرات ، ثم استند الى الوراء وقال : « حسنا يا كولونيل ، لك الحق في ابداء رأيك ، وانا لا اجلس لاحكم على اذواق زبائني ٠ والان ، في هذه القضية ، فالذى لا ريب فيه انني تلقيت طلبـا بالكتب المذكورة من المصدر المشار اليه ٠ وفي الخامس

من شهر ايار الماضي عبات الطلب • وأتوقع ان تكون الكتب قد وصلت • أما ماذا حدث في امرها ـ بعدئذ ـ فهذا ليس من شاني • ولكن من وجهة نظر اتهامك ، علي ان أوضح ان مثل هذه الكتب الادبية يمكن ان تحفظ في مكان خاص وان تقرأ على انفراد • وقد ارسلت اشعارا بذلك على مدى ثمانية اشهر متتالية • ولكنني لم استلم اى مبلغ • وبالطبع ، لم يشعرني احد ان الزبون كان متوفيا ـ كما ذكرت • ومن هنا كان لجوئي الى اجراء قانوني في هذه المرة • وانا جد آسف ان اكون ••• »

فزأر الكولونيل انغالز : « ايها الوغد ! •• هل تعني حقا ان تزعم ان الدكتور انغالز قد اشترى مثل هذه الكتب ؟ دعني اخبرك ••• »

فقاطعه السيد جوريث : « يا سيدى العزيز ، لحظة واحدة اذا سمحت ! •• هل انت في وضع يسمح لك ان تكون موضوعيا لدرجة كافية ؟ •• انني لا ادعي على المشترى •• اعني انني لا ازعم شيئا سوى انني ارسلت البضاعة ومن حقي ان استلم ثمنها ، فانا رجل فقير • وعندما لا يدفع لي الناس ، ماذا استطيع ان اعمل غير ••• »

ـ « لماذا ايها القذر ••• »

فرفع السيد جوريث يده الى اعلى وقال محتجا : « ارجوك ! ارجوك •• اعتقد انك تتخذ موقفا جائرا لا يمكن تبريره يا كولونيل • فهذا الحساب قد حدث منذ فترة طويلة ، ولم اتخذ اى اجراء ، فانا ادرك تماما الازعاج الذى سأسببه لزبائن كثيرين في حالة نشر قائمة حساب من هذا النوع ، وستدهشك حتما ، يا سيدى العزيز ، قائمة زبائني السريين » •

رد الكولونيل انغالز بكل حرص : « هل تكرمت فأريتني الطلب الاصلي لاخي ؟ »

فزم السيد جوريث شفتيه واجاب : « آه ، هذا غير عادل منك يا كولونيل اذ يمكنك ان ترى انني لا احتفظ بها ، اذ انها منتهى الوقاحة من جانبي ان احتفظ في ملف بأى شيء قد يسبب متاعب كهذه ، وانما لدي النسخة الكربونية من الفاتورة ، والتي تعتبر ـ من الوجهة القانونية ـ كافية في مثل هذه الظروف كما اعتقد • هل ترى الان وضعي ؟ »

ـ « بكل وضوح ، انه وضع مخادع قذر ووغد لئيم •• وسأجيز لنفسي امر تأديبك » •

وسحب العصا من تحت ابطه . فانزلق السيد جوريث بخفة من مقعده ، وامسك بسماعة التلفون والقى بمقعد في طريق الكولونيل •

هتف في عاملة التلفون : « استدعي شرطيا » ، ثم جذب احد الادراج بشدة فانفتح والتقط منه مسدسا • ثم قال وهو يسند ظهره الى الحائط : « والان يا سيدى الفاضل ، سنرى حالا • لقد احتملت الكثير من تعسفك الا ان ثمة حدود • انني افهم الى حد ما سبب ثورتك ، الا ان ذلك لا يبرر تصرفك • اذا اخترت ان تخرج من هنا في الحال وترسل لي شيكا بالمبلغ المستحق لي فسأكتفي بهذا ولن ازيد كلمة •• اما اذا كنت تفضل وصول الشرطة ••• »

ورد الكولونيل انغالز برباطة جأش مدهشة . وقد امسك العصا باحكام في يده : « سأنتظر وصول الشرطة •• لقد كنت متسرعا جدا •• وعلى ضوء قائمتك للزبائن المزعومين ، والتي تظن انها ستدهشني ، فهناك ـ بلا شك ـ اناس اخرون يمكن اعتبارهم ••• »

وعلى حين غرة هوت العصا بضربة مفاجئة استقرت فوق رسغ السيد جوريث ، فطار المسدس من يده ، وارتطم بالارض . فركله الكولونيل انغالز بقدمه الى الخلف ، وقال : « انه ليس الامر الذى يفضل اقارب رجل الدين ان ينشر ، أليس كذلك ؟ فعندما تقرأ عن موت احدهم فما الذى يمنعك من ارسال قائمة حساب لورثته ؟ انهم غالبا ما يدفعون لك وينهون الموضوع • يا لها من حيلة في غاية الذكاء يا سيدى ! »

فامسك السيد جوريث برسغه فزعا وقال : « انني عاجز عن فهم هذا الهذيان • كيف تجرؤ على ••• »

الا ان الكولونيل انغالز قاطعه قائلا : « احقا ؟ •• كان من الممكن ان اكون انا العاجز عن الفهم يا سيدى ، الا انني اعتقد انك وقعت في هذه القضية يا سيدى ! •• فانا متأكد ان اخي لم يطلب اى كتب منك •• وانه لم يحفظها في مكان خاص •• او يقرأها على انفراد •• والسبب في ذلك بسيط •• وبسيط جدا •• فلمدة خمسة عشر عاما قبل موته •• اصيب اخي بمصيبة فقد البصر كلية ! •• ها قد حضر يا سيدى رجل الشرطة الذى ارسلت في طلبه ! ••• »

يعقوب يهوشواع

العهد العثماني والحرب الاولى

[الصحافة العربية في البلاد في مطلع القرن الحالي (١٧)]

اذا اردنا أن نجمل ما قلناه عن الصحافة العربية في البلاد في الفترة العثمانية نستطيع ان نقول بأن نحواً من ثلاثين صحيفة ، من بينها مجلات ادبية ، صدرت في تلك الفترة ، طوال ستة أعوام · وهي فترة قصيرة نسبياً · ومعظم هذه الصحف داومت على الصدور سنة أو سنتين ، وثمة ايضاً صحف داومت على الصدور طوال هذه الفترة («القدس» في القدس ، «فلسطين» في يافا ، «الاخبار» في يافا ، «النفير» و «الكرمل» في حيفا) ·

وعلي أن اثبت هنا ، آسفاً ، انني لم أستطع العثور على جميع تلك الصحف وعلى دراستها دراسة وافية · فهناك صحف كان في امكاني معرفة اسمها فقط ، وتعذر علي ولو رؤية عدد واحد من اعدادها · وهناك صحف رأيت منها عدة اعداد ، بيد أن ذلك لم يكن كافياً لاعطائي فكرة وافية عنها · ولكن علينا أن نقر بأن هذه الصحف ، على سيئاتها وحسناتها ، كانت بمثابة الاساس للصحافة العربية في البلاد ، والتي ازدهرت وترعرعت في فترة الانتداب · وقد ادت هذه الصحف مهمة المهاجمة الاولى ومناواة الحركة الصهيونية ، وهي ظاهرة اتسعت فيما بعد حتى شملت الصحف السورية واللبنانية والعراقية والمصرية · التي كانت ارقى من الصحف الفلسطينية مستوى ·

ان مؤسسي هذه الحركة الصحافية كانوا في معظمهم من المسيحيين من ابناء الطائفة الاورثوذكسية ، وهناك عدد ضئيل من المسلمين من الذين ساهموا فيها · وقد كان هؤلاء في جلهم من خريجي المعاهد الروسية العليا للمعلمين والمعلمات في الناصرة وبيت جالا ، وهي معاهد اسهمت بقسط كبير في تربية جيل كامل من الشباب الفلسطيني · وهذه الظاهرة تعيد الى الاذهان اسهام الصحافيين السوريلبنانيين في تاسيس الحركة الصحافية في مصر في اواخر القرن الماضي · ولم يقتصر تاثير هذه الصحف على صعيد الصحافة العربية فحسب بل تعداه الى الصحافة اليهودية · فقد شهدت تلك الفترة تاسيس عدة صحف يهودية ـ عربية الغاية منها تفنيد الاتهامات والتحريضات التي كانت الصحف العربية تمطر الحركة الصهيونية بها ·

كثيرون من المثقفين العرب في البلاد في تلك الفترة كانوا من قراء الصحف المصرية اليومية ، ولم تكن الصحف المحلية تشبع رغبتهم في الاطلاع على ما يجري في العالم ، أو تشبع تعطشهم الثقافي · وقد تغير هذا الوضع ، نسبياً ، بعد سنة ١٩٢٩ ، حين أخذت بالظهور بعض الصحف اليومية ، فساهمت بعض الشيء في سد الفراغ المحسوس · بيد أن الصحف المصرية واصلت احتلال مكانتها المرموقة بين اوساط المثقفين حتى نهاية فترة الانتداب ·

لا حاجة للقول ان هذه الصحف ، أخبارياً ، كانت دون المستوى المطلوب بكثير ، فقد كانت تفتقر الى المراسلين المحليين ، والمقال الرئيسي فيها كان يحتل نصف الصفحة الاولى أو يزيد · ونشير هنا الى تفرد صحيفة «فلسطين» في هذا المضمار ، والى مقالها الافتتاحي القصير الذي كان يكتبه يوسف العيسى ، الذي اصدر بعد الحرب الاولى ، في دمشق ، صحيفة «الف باء» ·

ولا بد أن نتساءل هنا : هل كانت الصحف العربية في العهد العثماني تقوم برسالة توجيهية تثقيفية عامة ، وهل كانت تعير اهتمامها لتقدم وانعاش الحركة الاقتصادية والاجتماعية في الوسط العربي في البلاد ، ولملأ الفراغ الادبي والثقافي ؟ وسيتضح ، اذا اردنا الاجابة على هذا السؤال ، ان هذه الصحف كانت «مشغولة» اكثر مما ينبغي بتوجيه الانتقاد الى السلطات التركية وبالدفاع عن حقوق الطائفة الارثوذكسية في خلافاتها مع السينودوس ، وبمهاجمة الحركة الصهيونية · ولكن ، بالرغم من ذلك ، لا نستطيع بأي حال تجاهل حقيقة ان هذه الصحف قامت بوظيفة تنويرية همها اثارة اهتمام القراء بكل ما يجري في البلاد من احداث ·

كنا قد رأينا أن البراعم الاولى للصحافة العربية في البلاد ظهرت في القدس ، لكن هذه الصحف المقدسية كانت نهبة للخلافات الداخلية والطائفية ، وغثة بمحتواها ، فما عتمت ، والحالة هذه ، الصحف العربية في يافا أن حازت على مكان الصدارة ، شأنها في فترة الانتداب ايضاً ٠

في الفترة الممتدة بين اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وحتى الحرب الاولى صدرت في القدس سبع صحف عربية كانت تظهر مرة أو مرتين اسبوعياً ٠ ولكنني استطعت الاطلاع ، وبصورة كاملة ، على صحيفتين فقط هما «المنادي» و «القدس» ، ورأيت عدة اعداد فقط من كل من «الانصاف» ، «النجاح» ، «النفير العثماني» ، «قدس شريف» و «بشير فلسطين» ـ التي صدرت لفترات متفاوتة في قصرها ٠

بعد ظهور الصحف المقدسية بعدة أشهر بدأت تصدر ايضاً الصحف العربية في يافا ، ميناء فلسطين ، وثاني مدن متصرفية القدس ، وقد كانت فترات ظهورها ، شأن الصحف المقدسية ، قصيرة الاجل ايضاً ويستثنى من ذلك صحيفة «فلسطين» التي احتلت مكانة مرموقة ، ليس في العهد العثماني فحسب ، بل في فترة الانتداب ايضاً ٠

اما حيفا فقد كانت تابعة لعكا من الناحية الادارية ، وظهر فيها تأثير بيروت واضحاً ٠ وكانت «للمسيحيين الوطنيين في حيفا مطابع وصحف ٠ ويعتبر ان الحياة الفكرية الوطنية والنفوذ المعنوي في ايدي اصحاب مطبعة الكرمل والمطبعة الوطنية ومطبعة النفير وهم مسيحيون وكذلك صاحب جريدة الصاعقة التي كانت تصدر قبل الحرب مرتين في الاسبوع في حيفا، وصاحب جريدة النفير الاسبوعية ٠ وصاحب الكرمل النصف اسبوعية ٠٠٠» **(ولاية بيروت** ، مطبعة الاقبال ، بيروت ١٩١٦) ٠

وهنا ايضاً ، في حيفا ، كان ثمة صحيفة مركزية استقطبت جميع الصحف الاخرى من حولها ، واستطاعت ان تربط اسمها باسم الصحافة في حيفا ـ وهي صحيفة «الكرمل» ٠ ويجدر بنا هنا ان نذكر ازدهار الصحافة الهزلية في حيفا في فترة ما قبل الحرب ـ ولفترة ما بعد الحرب ايضا ـ وذلك بتأثير من صحافة بيروت ٠

ان اعلان الدستور العثماني كان بمثابة الشرارة التي اشعلت ظهور الصحف العربية في البلاد ٠ وقد اثارت الصورة التي تمت بها الثورة التركية دون اسالة الدماء اعجاب السكان وتعاطفهم ٠ ثم بدأت تتعالى الاصوات الداعية الى رفع شأن الامة وادخال الاصلاحات على الطرق التربوية وفي مجالات التعليم ، كما دعت صحيفة «القدس» ، واضافت ان على العرب تأسيس اتحاد مع العثمانيين وترك العصبية القومية ٠

ودعت الصحيفة كذلك الى الاستعانة بالخبراء الاوروبيين في المجالات المختلفة وذلك لتقوية عزائم اولئك من العرب الذين في نيتهم استعادة مجد امتهم ، وهم يعملون في منظمات اقاموها لتنمية التجارة والزراعة والصناعة ، والاخذ بيد الفلاح واغاثة المظلوم لان الجميع قد اصبحوا متساوين امام العدالة ٠

لكن اعلان الدستور لم يحقق الامال التي انيطت به، لكن الشعب لم يعر ذلك اهتماما كافيا ، ولذلك نرى محرر «القدس» يشكو من خيبة أمله بعد أن كان يعتقد ان الامة سوف تقدر الصحافة لانها اصبحت حرة ولم تعد ترسف تحت اغلال الاستبداد ٠ وعن مدى غبطة السكان باعلان الدستور نقرأ في افتتاحية العدد الاول من صحيفة «الانصاف» : «الحمد لله الذي انعم علينا بنشر الدستور واخرجنا من الظلمة الحالكة الى هذا النور ونشر محبة الحرية والمساواة والاخاء في قلوب العباد وبعث الحياة المشهورة العربية في كل انحاء هذه البلاد وانصف المظلوم من الظالم ، فتساوى امام العدل السيد والخادم » ٠ (١٠ كانون الاول ، ١٩٠٨) ٠

لم تكن العلاقات حسنة بين السلطات وبين السكان العرب وقد وعدت الصحف بالعمل على تحسينها ٠ وعلى راس هذه الصحف وقفت «النجاح» ، التي كان يصدرها (ولفترات معينة باللغتين العربية والتركية ايضاً) الشيخ علي الريماوي ، وعملت على تحسين العلاقات المتدهورة بين الحكومة التركيه وعرب البلاد الذين اعربوا عن خيبة املهم من مبادىء الحرية التي اعلن عنها الدستور التركي ففي العدد الصادر في ٨ نيسان ١٩١٠ كتب المحرر مفندا للاراء القائلة بأن الشعب التركي يعمل على خنق اللغة العربية ونشر التركية ، ويدعو العرب الى تعلم اللغة التركية كي يستطيعوا الترقي في المناصب الحكومية وألا يخشوا من فقد قوميتهم ٠

وقد طالبت الصحف بادخال تعديلات على الادارة المحلية ، كما فعلت صحيفة «النجاح» فطلبت من المحاكم تخصيص مكان للصحافيين ٠ ومن الشرطة ـ تقديم تقرير اسبوعي عن اعمالها ، ومن البلدية ـ نشر

التقرير السنوي كاملا ، ومن المتصرفين ـ نشر جميع الاوامر التي يتلقونها كي يطلع المواطن على واجباته وحقوقه · وكانت عبارة «الاصلاح» تتردد كثيرا على اعمدة الصحف ، وخاصة بما يتعلق منه بمدينةالقدس· فقد طالبت الصحف الصادرة في القدس من السلطات العثمانية زيادة الاهتمام بشؤون المدينة واستتباب الامن والنظام فيها ، شأن عواصم العالم الاخرى · وكذلك مد شبكة للكهرباء وللمياه فيها ، فقد استمرت اضاءة القدس باللوكسات حتى عام ١٩٣٠ · لكن المطالبة بالاصلاح لم تقتصر على القدس فقط ، بل تعدتها الى المطالبة باصلاح البلاد عامة ، ابتداء من استغلال ثرواتها الطبيعية ، وتغيير طريقة جباية الضرائب وانتهاء بادخال التغييرات الجذرية على التعليم ومنح المرأة حقها منه ·

الحرب العالمية الاولى

قبل ان تنضم تركيا الى جانب المانيا في الحرب الاولى ، دار نقاش على صفحات الصحف العربية حول الى اي من الدولتين ينبغي على تركيا ان تنضم ، الى المانيا ام الى بريطانيا · ونستطيع ان نقف على اصداء لهذا البحث في صحيفتي «فلسطين» و «الكرمل» ·

داومت صحيفة «فلسطين» على الصدور لاشهر قليلة بعد اندلاع الحرب ، وكانت تكتفي بنقل اخبار وكالات الانباء ، أو بنقل الاخبار عن الصحف المصرية ، وتوقف المقال الافتتاحي عن الظهور · وقد درجت الصحيفة على نشر تلغرافات خاصة باللغتين الفرنسية والعربية ، لقرائها من غير العرب · ويظهر ان الصحيفة كانت بمثابة المصدر الذي «تلطش» عنه الصحف الاخرى الاخبار · في العدد الصادر في ١٦ آب ١٩١٤ اعلنت هيئة التحرير ان الصحيفة سوف تصدر في المستقبل ثلاث مرات اسبوعيا لكي يقف القراء على الاخبار في حينها ولكي تمنع عن الصحف الاخرى امكانية نقل الاخبار عنها ، وخاصة الصحف اليهودية ،على حد تعبير المحرر· وتعتذر الصحيفة من قرائها لانها لا تستطيع ان «تطبخ» لهم في الظروف الراهنة نفس المأكولات السياسية التي درجت على تقديمها اليهم في السابق ، وذلك لان انواع المأكولات تتغير بتغير الازمنة · وتؤكد الصحيفة لقرائها أنها سوف تعمل على كشف أدنى الهنات في معاملة الموظفين للسكان ، وسوف تحارب النزعة الاستخفافية التي يتلقى بها الشعب اوامر الحكومة ، وانها ستبقى «عثمانية دستورية اتحادية» ·

وقد ذهبت «فلسطين» الى ان على تركيا ان تتخذ موقف الحياد في هذه الحرب وذلك لان زوالها وشيك ـ وهي فرصة سوف تغتنمها الدول العظمى للتسلط على بلدان الشرق · ثم هاجمت الصحيفة اولئك الذين يعملون على زرع بذور الشقاق في صفوف الامة واثارة الحزازات والاضغان ، والذين يدعون ان البلاد سوف تزدهر اكثر في ظل حكم الدول الاجنبية ، وهي تلفت الانظار الى الذي فعلته انجلترا في الهند · وقد فتحت الصحيفة اعمدتها امام كلا الفئتين من القراء : اولئك المتحيزين الى جانب المانيا ، واولئك المتحيزين الى جانب انجلترا ·

ابتداء من العدد ٦٠ ـ ٣٥٨ الصادر يوم ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩١٤ اخذت الصحيفة تنشر التلغرامات التي ارسلت اليها من القنصلية الالمانية · وقد طلبت الادارة من القراء في نفس العدد أن يسارعوا في تسديد اشتراكاتهم وذلك كي يتسنى لها دفع الغرامة التي طولبت بها بمبلغ خمسين ليرة (ولم استطع ان اتبين السبب الذي من اجله انزلت هذه العقوبة ـ ي · ي·)· أما العدد الاخير الذي ظهر من هذه الصحيفة في اثناء الحرب فهو ٦٥ـ٣٦٢ ، ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ·

أما صحيفة «الكرمل» فقد اتخذت موقفا مخالفا لصحيفة «فلسطين» اذ دعت الى عقد حلف صداقة مع انجلترا وليس مع المانيا ، وحجتها في ذلك ان شطآن البلاد التي تحت سلطان تركيا سوف تكون عرضة لقصف سفن الاسطول البريطاني · وقد اثارت هذه الآراء ارتياب السلطات التركية فتوقفت الصحيفة عن الصدور وهرب صاحبها ملتجئا الى احدى القبائل البدوية طوال سنوات الحرب ، لكنه القي القبض عليه وقدم الى المحاكمة بتهمة الخيانة ، الا أنه برىء من هذه التهمة ·

لم تصدر الصحف العربية طوال سنوات الحرب الاربع ، وبعد احتلال انجلترا فقط للبلاد عملت سلطات الانتداب على اصدار الصحف للعرب واليهود ، وقد بدأت هذه الصحف بالظهور في سنة ١٩١٩ ·

(اعد المواد للطبع : انطون شماس)

يتبع

وجهـي الكئيب ـ تتمـة

في البداية كان الصمت يعم الحجرة ، ولم يحـدث شيء ، هم دائما يتصرفون على هذا النحو ، وهذا اسوا ما في الامر • احسست ان وجهي يتضاءل شيئا فشيئا • وكنت متعبا وجائعا . بل وحتى اخر اثار تلك السعادة الكئيبة قد اختفت الان ، لانني ادركت انني قد ضيعت نفسـي •

وبعد لحظات قليلة دخل الغرفة رجل طويل شاحب يرتدي حلة بنية تشير الى انه محقق تمهيدي ، دخـل دون ان ينطق بكلمة • وجلس دون كلمـة ، وراح يحملق في •

ـ « المهنة ؟ »

ـ « رفيق بسيط »

ـ « مولـود ؟ »

واجبت : « الاول من الشهر الاول ، واحد »

ـ « آخر وظيفة ؟ »

ـ « نزيـل »

وحملق الرجلان كل منهما بالاخر

ـ « تاريخ ومكان الافراج عنك ؟ »

ـ « الامس •• البيت ١٢ ، زنزانة ١٣ » •

ـ « اوامر النقل ؟ »

ـ « الى العاصمة »

ـ « جواز مرورك ؟ »

اخذت جوازي من جيبي واعطيته له ، ارفقـه بالبطاقة الخضراء التي كان قد بدا يكتب عليها التفاصيل التي تخصني •

ـ « الجريمة السابقة ؟ »

ـ « وجه سعيد »

وتبادل الرجلان النظرات

قال المحقق : « اشرح »

قلت : « في ذلك الوقت استلفت وجهي السعيد نظر رجل بوليس في يوم من الايام الرسمية • كان هو اليوم الذي مات فيه رئيس الدولة »

ـ « مدة العقوبة ؟ »

ـ « خمسـة »

ـ « السلوك ؟ »

ـ « سيء »

ـ « الاسباب ؟ »

ـ « التقدم بطلب غير لائق للعمل » •

ـ « انتهـى »

ثم نهض المحقق ومشى الي واقتلع بشكل محـدد الثلاث سنات الوسطى من الامام من فمي ـ وهي عقوبة فظيعة لم اعرفها قط ، ولكن كان هذا علامة على انـي قد صنفت « كمجرم عائد » ، بعدئذ خرج المحقـق التمهيدي ودخل رفيق ضخم يرتدي حلة بنية غامقة : المحقـق •

ضربني الجميع ، المحقق ، والمحقق اول ، والمحقـق التمهيدي والقاضي الاعلى ، ويضاف الى ذلك ان رجـل البوليس نفذ كل « العقوبات البدنية » كما يامـر القانون ، وبسبب وجهي العبوس فقد وقعوا علـي عقوبة مدتها عشر سنوات ، تماما مثلما حكم علـي بخمس سنوات من قبل . فبسبب وجهي السعيد حكموا علي بخمس سنوات

على ان احاول الا يكون لي وجه على الاطـلاق ان استطعت ان اعيش السنوات العشر القادمة « بالسعادة والصابون •• » •

لمـاذا شـطبوا اسـمي ـ تتمـة

اسال نفس السؤال

في العمل انا ماكنة بلا روح • تشتغل بلا معنى •

اصحو ثم احلم • في وقت الصحو لا اتبين انني مسؤول عن وسائل الانتاج •

وفي وقت الحلم اتبين •

من الصباح وحتى العصر ابقى واقفا يعاودني السؤال « لماذا شطبوا اسمي » ؟

اصدقائي سئموا سؤالي ، زوجتي ضاقت بي ذرعا ، وعندما اخلو لنفسي احرق الارم •

حتى جاءني الوحي

ولعله شخص غريب يلبس الملابس البيضاء استقبلته على انه وحي •

في ليلة عاصفة الرياح اقبل الوحي ، وفاحت في الجو رائحة عبقة انستني لدقائق رائحة دورة المياه •

قال لي بعد ان صافحني :

« أنت الذي شطب اسمك » •

ـ هل تريد ان تعود الى حقك ايها المطرود ؟

ولكن ماذا استطيع ان افعل ؟

انت اكتفيت بالحرف , باللفظ ، بالصوت ، وصعدت على برج المراقبة تنظر من بعيد ، سألت اصدقاءك ماذا كان ؟ ورحت في غيبوبة • تجسد الشخص الغريب على شكل كرة نور اخذت تتلاشى شيئا فشيئا وبقي عن بعد ومضة لا تطفئها ريح ، وظل السـؤال يطرق بابي ولكن بهـدوء •



الثمن ليرتان